117

الأبحاث والدراسات

رنية ، وتربة ، والخرمة عند بعض الجغرافيين والرحالين المسلمين وغير المسلمين المتقدمين والمتأخرين (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م). (الجزء التاسع)، ص ص ١٣١ – ١٩٤ . (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ١٢٩ – ١٨٦ .

القسم الثاني

رنية ، وتربة ، والخرمة، في عيون بعض الجغرافيين والرحالين المسلمين وغير المسلمين المتقدمين والمتأخرين

القسم الثاني : رنية ، وتربة ، والخرمة، في عيون بعض الجغرافيين والرحالين المسلمين وغير المسلمين المتقدمين والمتأخرين:

م	العنوان	أرقام الصفحات
أولاً:	تمهيد	١٣٤
	التعريف بالجغرافيين والرحالين ومدوناتهم	**١٣٧**
	١ــ عرام بن الأصبغ السلمي(ق٢ــ٣هـ /ق٨ ــ ٩م)	١٣٧
	٢ــ أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة (ق ٣هـ/ق٩م)	١٣٨
	٣ــ أبو إسحاق الحربي.	١٣٩
	٤ ــ ابن رستة .	١٣٩
	٥ ــ ابن حوقل(ق٢ــ ٤ هـ /ق٨ ــ ١٠م)	١٣٩
	٦ ــ أبو علي هارون الهجري(ق٣ ــ ٤ هـ/ق٩ــ ١٠م)	١٤١
	٧ ــ الحسن بن أحمد الهمداني(ق٣ ــ ٤هـ/ق٩ــ ١٠م)	١٤٤
	٨ ــ أبو الفرج قدامة بن جعفر(ق٣ــ٤ هـ / ق٩ــ ١٠م)	١٤٧
ثانياً:	٩ ــ شمس الدين المقدسي (ق٤هـ/ق١٠م)	١٤٩
	١٠ــ ناصر خسرو (ق٤ــ٥هـ/ق١٠ــ١١م)	١٥٠
	١١ــ أبو عبيد الله عبدالعزيز بن أبي زيد بن محمد بن أيوب البكري (ق ٥هـ/ق١١م)	١٥٢
	١٢ــ محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي (ق٥ــ ٦هـ/ق١١ــ١٢م)	١٥٤
	١٣ــ ابن جبير (ق ٦ــ ٧هـ/ ق١٢ــ ١٣م) (١٤) ابن بطوطة(ق٨هـ/ق١٤م)	١٥٥
	١٥ــ ياقوت الحموي (ق٦ــ ٧هـ/١٢ــ١٣م)	١٥٧
	١٦ــ جمال الدين يوسف يعقوب(ابن المجاور)(ق٧/ق١٣م)	١٥٨

م	العنوان	أرقام الصفحات
	١٧ــ ابن فضل الله العُمري (ق٨هـ /ق١٤م)	١٦٠
	١٨ــ موريس تاميزيه(ق١٣هـ/ق١٩م)	١٦١
	١٩ــ الشريف البركاتي (ق١٤هـ/ق٢٠م)	١٦٥
	٢٠ــ فؤاد حمزة(ق ١٤هـ/ق٢٠م)	١٦٦
	٢١ــ هاري سانت جون فلبي(ق١٤هـ/ق٢٠م)	١٦٩
	٢٢ــ محمد عمر رفيع (ق١٤هـ/ق٢٠م)	١٧١
	٢٣ــ فيليب لبيتر (ق١٤هـ/ق٢٠م)	١٧٣
	٢٤ــ عاتق بن غيث البلادي(ق١٤ــ ١٥هـ/ق٢٠م)	١٧٤
	٢٥ــ عبد الرحمن صادق الشريف(ق١٤ــ ١٥هـ/ق٢٠م)	١٧٦
ثالثاً:	**وقفة قراءة ومقارنة للرحالة ومدوناتهم**.....	١٨٠
	١ــ تنوع ثقافة الجغرافيين والرحالين	١٨٠
	٢ــ المصادر والمنهج المستخدم في جمع المادة	١٨٤
	٣ــ دراسة المادة العلمية ومقارنتها	١٨٦
رابعاً:	**آراء وتوصيات**	١٩١

أولاً: تمهيد :

رنية ، وتربة ، والخرمة: تلك البلاد الواقعة في الجهة الشمالية من محافظة بيشة، والشرقية والشمالية من منطقة الباحة ، ثم الممتدة شرقاً وشمالاً إلى ما بعد الطائف ، وأجزاء من أوطان نجد الغربية والجنوبية . ومن ثم فهذه البلاد تعد حلقة وصل كبيرة ما بين جنوب ووسط البلاد السعودية. والسائح في ناحيتي رنية وتربة يجد أجزائها الغربية والجنوبية تتصل اتصالاً مباشراً بأجزاء من مناطق عسير والباحة وجنوبي الطائف السروية [١] ، ولهذا السبب ارتأيت أن أفرد دراسة مستقلة عن هذه الأوطان ، وأقوم بنشرها في سلسلة كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء التاسع : وقررت أن تكون هذه الدراسة مقصورة على ما دونه بعض الجغرافيين والرحالين المسلمين وغير المسلمين المتقدمين والمتأخرين.

والناظر في فهرست هذا الباب ، يجد أن عدد الجغرافيين والرحالين المذكورين في هذه الدراسة هم (٢٥) جغرافياً ورحالاً ، منهم (١٧) رحالاً وجغرافياً في الفترة الممتدة من القرن (٢ـ٨هـ/٨ـ١٤م)، ورحالة واحد في القرن (١٣هـ/١٩م) ، وخمسة في القرن(١٤هـ/٢٠م) ، واثنان في القرنين (١٤ـ١٥هـ/٢٠م)، ومنهم العربي وغير العربي والمسلم وغير المسلم .

ومن الأسباب الرئيسة التي جعلتني أختار هذا العنوان لهذا القسم، تتبلور في نقاط عديدة ، من أهمها:

١ ■ رنية وتربة من المحطات التاريخية والحضارية المهمة التي تقع على الطريق الواصل من صنعاء إلى الطائف ومكة ، بل هي جزء مما عرف عند الأقدمين بـ (طريق البخور)، وهاتان المحطتان عرفتا منذ القدم، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث والمعاصر. أما الخرمة فهي أيضاً معروفة على الطريق الذي يخرج من بيشة إلى رنية ، ثم يتجه إلى وسط الجزيرة العربية. وهذه المحطة الأخيرة

---

(١) آمل في المستقبل أن أقوم برحلة ميدانية في بلاد الخرمة وتربة ورنية وأسجل مشاهداتي وانطباعاتي عن هذه الديار النجدية الجنوبية ، وأسأل الله عز وجل أن يتحقق لنا ذلك قريباً .

(الخرمة) اشتهرت في العصر الحديث ، بسبب ما وقع فيها ، وأيضاً تربه ، من أحداث سياسية وحربية[١] ، غيرت مجرى التاريخ في الجزيرة العربية[٢].

٢- هذه البلدان الثلاثة (الخرمة ، وتربة ، ورنية) مترووية بين مناطق الحجاز ، وأجزاء من نجد ، والباحة، وعسير، وهذا الانزواء جعلها في حالة عزلة ، وقلة ذكر في كتب الباحثين والدارسين المتقدمين والمتأخرين ، ومن يقارن حجم الدراسات والمدونات التي ذكرت هذه البلاد يجدها في مرتبة متأخرة في مجال البحث والدراسة والتأليف[٣].

٣- الباحث يجد عن تاريخ وحضارة هذه الأوطان في كتب التراث ، أن الرحالة والجغرافيين يعدون أفضل من أشار إليها ، مع أن إشاراتهم لها لازالت محدودة ولا تفي بالغرض . وتربة ورنية أوفر حظاً من الخرمة في كتب التراث الإسلامي بشكل عام ، وفي مصادر الرحلة والجغرافيا بشكل خاص[٤] .

---

(١) ربما موقعها ، فهي تربط بين أجزاء من بلاد نجد وبين أعالي بلاد السروات وسفوحها الشرقية ، وهذا السبب يجعلها ذات موقع جيد يربط بين تلك النواحي .

(٢) الباحث في تاريخ بلاد الخرمة وكذلك تربه يجدهما كانتا ميداناً لعدد من الحروب والمعارك بين الدولة السعودية الثالثة والأشراف في الحجاز، وقد لعب أهل الخرمة دوراً ريادياً في تغيير دفة السياسة في جنوب ووسط وغرب الجزيرة العربية . وهناك عشرات الدراسات وآلاف الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي ناقشت تاريخ وحضارة بلاد الخرمة وتربة خلال العصر الحديث. وللمزيد انظر: المؤلفات والوثائق التي درست تاريخ الدولة السعودية وبخاصة أثناء السيطرة على بلادالحجاز.

(٣) الباحث في تاريخ وحضارة تربة والخرمة ورنية في كتب التراث الإسلامي المبكر، أو في العصر الحديث والمعاصر، يجد أنها لم تنل اهتمام المؤرخين بشكل جيد، بل إنها في كثير من المصادر والمراجع شبه منسية . حتى في عصرنا الحالي نلحظ أنها لاتزال تتبع إدارياً وتعليمياً لمنطقة مكة المكرمة ، مع أنها بلاد واسعة وبعيدة جداً عن مدينة مكة ، فهي تستحق أن تكون منطقة رئيسة في المملكة العربية السعودية ، كما أنها تستحق أن يكون فيها جامعة مستقلة تخدم أبناءها وبناتها.

(٤) الذي جعل رنية وتربة مذكورتين عند الأقدمين بسبب وجودهما ضمن محطات الطريق السروي الذي يخرج من صنعاء أو حضرموت إلى بيشة ثم يتجه إلى الطائف ومكة ماراً ببلاد تربة ورنية . أما الخرمة فهي موغلة في أرض نجد ، وبالتالي فحياة أهلها أقرب إلى حياة البادية والصحراء .

٤ـ ذكرنا في عنوان هذا القسم كلمة (بعض) الجغرافيين والرحالين ، وذلك يعني أننا لا ندعي شمول جميع الرحالة والجغرافيين الذين كتبوا عن هذه الأوطان ، ومن المؤكد أن تربة ورنية خاصة كانت على الطريق الجبلي الرئيس الذي يربط اليمن بالحجاز، ومن ثم فهناك الكثير من العلماء ، والقادة ، والأعلام الذين ارتادوا هذا الطريق، وبعضهم ربما كان رحالة ، أو عالماً في بعض العلوم والمعارف، وقد أشار إلى بعض الصور الحضارية في هذه البلاد ، ولم نستطع معرفة ذلك، وقد يأتي بعدنا ـ بإذن الله تعالى ـ من يستكمل ما لم نستطع تدوينه ، أو يصحح ما أخطأنا فيه بدون قصد.

٥ـ في قائمة الجغرافيين والرحالة الذين ذكرنا في الفهرست، منهم من زار مناطق الخرمة، وتربة ، ورنية، ودون ملاحظاته من خلال المشاهدة والرواية ، وآخرين لم يأتوا إليها أو يشاهدوها وإنما استقوا معلوماتهم من غيرهم عن طريق الرواية ، أو عن طريق النقل من بعض المصادر والمدونات التي حفظت بعض التفصيلات عن هذه البلاد .

٦ـ نجد التباين والاختلاف في عصور وعقائد وثقافات هؤلاء الرحالين والجغرافيين المذكورين ، فمنهم العربي وغير العربي ، ومنهم المسلم وغير المسلم، ومنهم الذي عاش في قرون إسلامية مبكرة أو متأخرة ، وهذه الاختلافات تؤكد فضل الله على هذه البلاد وأهلها ، وذلك عندما نجد شريحة من العلماء والرحالة يدونون ويحفظون جزءاً من تراثنا وحضارتنا .

٧ـ إن دراسة مثل هذا الموضوع، قد يقيض الله بعض أبناء هذه البلاد (تربة ، ورنية ، والخرمة) ، وبخاصة الباحثين والدارسين ، فيعكفون على بحث ودراسة أي جزئية من تاريخ وموروث وحضارة هذه الديار ، ونحن على يقين أن من يفعل ذلك فقد يخدم أهله وأبناء جلدته من أهل هذه الأوطان. كما نأمل أن يظهر أيضاً بعض الدارسين الآثاريين من هذه البلاد أو من غيرها فيدرسوا الآثار والنقوش والرسوم المتناثرة في نواحيها .

ثانياً : التعريف بالجغرافيين والرحاليين ومدوناتهم :

١- عرام بن الأصبغ السُلمي (ق ٢-٣هـ/ق٨ - ٩م) :

لم نعثر على ترجمة دقيقة وواضحة، إلا ما ذكره ابن النديم ، حيث ذكر اسمه كاملاً (عرام بن الأصبغ السلمي) ، ويبدو أنه كان أحد أعراب بني سليم ممن كانوا يطوفون بالبلدان ويتعرفون على مسالكها فيكسبون بذلك خبرة . وعرام: من العرامة أي الشدة والقوة والشراسة ، والأصبغ: فهو اسم أبيه ، مأخوذ من الأصبغ ، وهو من الخيل إذا كانت ناصيتها بيضاء، ومن الطير ذات الذنب الأبيض[١] . ويذكر أنه من أهل القرن الثاني وأوائل الثالث الهجري ، وهو ممن دخل خراسان مع أحد أمراء بني طاهر عام (٢١٧هـ/٨٣٢م) [٢] .

ولعرام كتاب: عن أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى والأشجار والنبات ، قام بتحقيقه عبد السلام هارون ويقع في حوالي (١٢٠) صفحة تحدث فيها عن مواطن عديدة من تهامة الحجاز وما جاورها من السروات وأجزاء من نجد ، ويشير إلى أرض تربة فيقول" وبنجد في حد مكة واد يقال له وادي تربة ، يصب إلى بستان بن عامر ، وأسفل تربة لبني هلال ، وحوله من الجبال (الشراة) " [٣]. ويعدد بعض جبال السروات ، ثم يقول : " وهذه الجبال كلها لغامد ، ولخثعم ، ولسلول ، ولسوأة بن عامر، ولعترة ، وكل هذه الجبال

---

(١) انظر: عرام السُلمي . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، ومافيها من القرى وما بنيت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ، المقدمة ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٨.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) عرام السُلمي ، كتاب أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٦ــ ٤١٧. ويقصد بـ (الشراة) هنا: أي السراة ، أو السروات .

تنبت القرض ، وهي جبال متقاودة بينها فتوق " [١] ، وفي هذه المعلومات يذكر بعض العشائر في مواطنها الصحيحة من السروات ، إلا أنه أخطأ عندما قال إن وادي تربة يصب في بستان ابن عامر ، أي جهة مكة ، والمعروف أن وادي تربة يتجه شرقاً ويصب في صحاري نجد[٢].

وفي مكان آخر يشير إلى الطائف وبعض جبالها وأوديتها ، وأجزاء من أرض الحجاز أو السروات ، ويذكر بعض القرى مثل رنية وغيرها فيقول: " وفي حد تبالة قرية يقال لها رنية ، وقرية يقال لها بيشة ، وتثليث ... والعقيق ، وكلها لعقيل ، مياهها بثور..." [٣] . وبهذا الوصف يحدد موقع رنية القريبة من بيشة وتبالة وغيرها ، وهي فعلاً كذلك[٤] ، لكنه لا يذكر تفصيلات أكثر عن بلاد رنية ، وقوله إن هذه البلاد لعقيل فهذا غير صحيح لأن معظم سكان رنية من سبيع .

٢ ـ أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة (ق ٣هـ/ ق٩هـ) :

ابن خرداذبة ولد في خراسان عام (٢٠٥هـ/٨٢٠م) ، وعاش في بغداد ، وهو من أسرة ثرية مثقفة تولى إدارة البريد في إقليم الجبل ببلاد إيران في عهد الخليفة العباسي المعتمد، ويعد ابن خرداذبة من أقدم الرحالة الجغرافيين في العصر العباسي ، خلف لنا كتابه الموسوم بـ :المسالك والممالك [٥] ، وهو يشتمل على معلومات هامة

---

(١) ما ذكر عرام في المتن فيه نسبة كبيرة من الصحة ، لأن غامد وخثعم يقطنون السروات ، أما سلول ، وابن عامر فيستوطنون بيشة ، ورنية وما حولها .

(٢) لا نجد هذا الجغرافي يذكر معلومات أكثر عن بلاد تربة ، وكل ما دونه يعد منقولاً من بعض المصادر أو سمعه من بعض الرواة، ولم ير أو يزور السروات أو بلاد تربة .

(٣) عرام السُلمي ، ص ٤٢٠ـ ٤٢١، والبثور : مياهه تجري تحت الحصى على مقدار ذراع وذراعين وأحياناً دون الذراع ، وربما أثارته الدواب بحوافرها . المصدر نفسه ، ص ٤٢١ .

(٤) رنية تبعد عن بيشة شمالاً حوالي (١٥٠كم) ، واليوم هناك طريق رئيسي معبد يذهب من بيشة إلى رنية ويسير شمالاً وشمال شرق ثم يتفرع إلى كل من تربة غرباً والخرمة شمالاً .

(٥) انظر : أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك . تحقيق د. غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ، ص ٥ وما بعدها .

في نظم الحكم وفي النظام المالي بوجه خاص ، ويعد هذا الكتاب من أقدم المؤلفات الجغرافية في اللغة العربية . وهو عبارة عن دليل يستعين به المسافرون في الاهتداء إلى الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة ويصل إلى الهند والصين ، كما يحتوي على إحصاءات وبيانات وافية عن إخراج البلاد وطرقها والمسافات بينها [١] .

وهذا الجغرافي جاب بلاداً عديدة وكتب عن طرقها ، وثرواتها ، وإذا كان زار الحجاز (مكة والمدينة) ، فإنه لم يزر بلدان داخلية في الجزيرة العربية مثل تربة أو بيشة أو رنية وغيرها، وإنما نقل بعض المعلومات عنها ممن سبقه من المؤلفين والكتاب ، أو من بعض الرواة الذين كان يلتقي بهم في بغداد أو الحجاز وغيرها[٢] ، ونجده يعدد المخاليف أو الأقاليم التابعة لمكة المكرمة إدارياً ، ويذكر تربة وبيشة وتبالة من المواطن الملحقة بمكة[٣] . ويشير أيضاً إلى محطات الطريق من مكة والطائف إلى صعدة وصنعاء ، ويؤكد على أن تربة ورنية على تلك الطريق ، ثم يقول عنهما " تربة قرية كبيرة ، ثم إلى كرى فيها نخل وعيون[٤]، ثم إلى رنية فيها نخل وعيون "[٥] . ولا نجد ابن خرداذبة يذكر تفصيلات أكثر عن سكان وأراضي رنية وتربة ، وفي اعتقادنا لو زارها لكان أفادنا كثيراً عن تاريخها الحضاري .

٣ ـ أبو إسحاق الحربي، ٤ ـ بن رسته، ٥ ـ ابن حوقل(ق٢هـ ٤هـ/ق ٨ ـ ١٠م):

هؤلاء العلماء الثلاثة (الحربي ، وابن رسته ، وابن حوقل) عاشوا في الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الرابع الهجري . فالإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي من مواليد إقليم خراسان عام (١٩٨هـ/٨١٣م) ، وفي مدينة مرو تحديداً ، برع في علوم عديدة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨ وما بعدها .

(٢) هناك رحالة وجغرافيون كثيرون لم يزوروا بلاد رنية أو تربة أوبيشة أو أراضي السروات ، إلا أنهم نقلوا عنها بعض المعلومات ودونوها في كتبهم وأسفارهم . انظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٣٣ .

(٣) أي تابعة لمكة المكرمة إدارياً ، وحتى هذا اليوم لازالت رنية وتربة تتبع إدارياً لإمارة مكة المكرمة .

(٤) كري لازالت حتى اليوم تقع ضمن حدود بلاد تربة ، وكانت إحدى المحطات التجارية القديمة .

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٣٤ .

شرعية ولغوية وأدبية وإخبارية ، وله العديد من المؤلفات في هذه المجالات ، ويعد من كبار المحدثين في عصره . أما في مجال الرحلة والجغرافيا فله كتاب قيم في هذا الميدان هو: كتاب المناسك ، وأماكن طرق الحج ، ومعالم الجزيرة ، قام على تحقيقه ونشره الأستاذ حمد الجاسر ، وكتب له مقدمة في (٢٧٢) صفحة ، ومادة كتاب الحربي في (٣٨٥) صفحة[١].

أما ابن رسته وابن حوقل فهما من الجغرافيين المسلمين الأوائل ، فالأول أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، وهو من أعظم جغرافيي القرن الثالث الهجري ، وله كتاب قيم بعنوان :الأعلاق النفيسة ، ألفه عام (٢٩٩هـ/٩٠٣م) ، وطبع ضمن الموسوعة الجغرافية في ليدن بهولندا عام (١٩٨١م)[٢] . أما الجغرافي ابن حوقل فهو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل ، ولد في بلاد الجزيرة في مدينة نصيبين ، ولا نعرف تاريخ ميلاده ، إلا أنه بدأ سفره وترحاله من عام (٣٣١هـ/٩٤٢م) ، وبقي يجوب بلدان كثيرة حوالي ثلاثين عاماً، وكتابه الجغرافي الشهير هو: المسالك والممالك، أو(صورة الأرض) ، حققه المستشرق دي غوي وطبع في مطابع بريل عام (١٨٧٣م)[٣] .

وهؤلاء العلماء (الحربي ، وابن رسته ، وابن حوقل) ذكروا بعض مدن الحجاز ، والطرق التي تربط مكة مع غيرها ، وأشاروا إلى طريق صنعاء الطائف ومكة ، وذكروا محطتي رنية وتربة بشكل مختصر ، ولم يفصلوا الحديث عن وضع هاتين البلدتين ، ولا إلى سكانها ، أو تاريخها ، وثلاثتهم لم يطأوا أرضها أو يروها ، إنما نقلوا معلوماتها من بعض الرواة والإخباريين[٤] .

---

(١) أبو إسحاق الحربي . كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ، ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ٦٤٤ـ ٦٤٥ ، ٦٤٨ـ ٦٤٩ .

(٢) أحمد بن عمر. المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة ، تحقيق دي. غوي (ليدن :مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ، ص ١٨٤.

(٣) أبو القاسم محمد بن حوقل . كتاب صورة الأرض (بيروت : دار صادر) نسخة مصورة من طبعة بريل في ليدن (١٩٣٩م)، ص ٤١ .

(٤) للمزيد : انظر : الحربي ، ص ٦٤٤ ، ٦٤٨ ، ابن رسته ، ص ١٨٤ ، ابن حوقل ، ص ٤١ ، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة ، ص ٨٩ ــ ٩٣ ، ١١٧ ــ ١٢٧ .

٦ ـ أبو علي هارون الهجري (ق ٣ـ ٤ هـ / ق٩ـ١٠م) :

أبو علي هارون بن زكريا الهجري ، لا نجد تاريخاً دقيقاً لميلاد ووفاة هذا العالم ، لكن من خلال النصوص التي وردت في بعض مؤلفاته ، يبدو أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث ، والنصف الأول من القرن الرابع الهجريين ، ومن لقبه الهجري ، فهو (في الغالب) من أرض هجر في إقليم البحرين ، أو ما عرف فيما بعد باسم (الأحساء) ، أو (المنطقة الشرقية) في وقتنا الحاضر[١] . وجل حياة أبو علي الهجري في الجزيرة العربية وبخاصة في المدينة المنورة[٢] ، وهو عالم في جوانب عديدة من المعرفة ، فهو لغوي وأديب ذا عناية بالشعر ، وهو راوية للشعر واللغة والأدب وغيرها من علوم العرب وبخاصة أهل البادية في أرض الجزيرة العربية [٣] . وهو نسابة ، عني بكتابة قسم من أنساب قبائل الجزيرة العربية، ورحالة وجغرافي حاول أن يحدد كثيراً من المواضع التي يتوقف على تحديدها فهم الشعر العربي[٤] .

ولأبي علي الهجري العديد من المؤلفات ، ومعظمها متناثرة في مصادر التراث الإسلامي المبكر وممن جمع علومه وحفظها . (١) ابن سيده في بعض مؤلفاته مثل : كتاب المحكم والمحيط الأعظم ، وكتاب المخصص[٥] . (٢) وأبو عبيد الله البكري في كتبه : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال .(٣) والحسن بن أحمد الهمداني في أسفاره : الإكليل ، وصفة جزيرة العرب ، والدامغة وشرحها، وسرائر الحكمة ، والجوهرتين ، وعلماء آخرون عديدون[٦] .

---

(١) هجر من الحواضر المعروفة في الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكرها وتاريخها في كثير من مصادر اللغة والأدب والتراث الإسلامي ، وعرفت هجر بجودة تمرها .

(٢) للمزيد عن براعة هذا العالم (الهجري) فيما ذكر أعلاه ، انظر: كتابه التعليقات والنوادر . ترتيب ومراجعة حمد الجاسر (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) (أربعة مجلدات، ٢٠٨٤صفحة)

(٣) المصدر نفسه ، انظر أيضاً مقدمة الجاسر لهذا السفر .

(٤) المصدر نفسه ، القسم الأول ، مج١ ، ص ٩ـ١٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ وما بعدها .

(٦) المصدر نفسه .

ومن أهم مؤلفات الهجري ، وله صلة ببحثنا ، كتاب التعليقات والنوادر[١]. وهذا المؤلف كان موزعاً في أكثر من مخطوطة ، قام الأستاذ حمد الجاسر بجمع تلك المخطوطات ، ثم مقارنتها ، وجمعها ، وتنسيقها وترتيبها ، ثم نشرها مع دراسة مطولة، في أربعة مجلدات ، وفي صفحات زادت عن ألفي صفحة[٢] . وفي هذا الكتاب سجل الهجري ما استطاع من أدب الجزيرة ، وتحديد مواضعها ، وذكر انساب قبائلها ، ووصف حيواناتها ، وكان اعتماده في جمع مادته على علماء ورواة وشعراء من سكان الجزيرة أنفسهم ، ومما سمعه من أفواه أولئك السكان الذين عاصرهم وخالطهم .والتميز فيما وصلنا من هذا العالم والأديب والجغرافي ، هو تدوينه في عصر انصرف فيه العلماء الباحثون والجغرافيون والمؤرخون عن الجزيرة بعدما انصرفت عنها الأنظار ، وبخاصة في كلما له صلة بالثقافة والأدب[٣] .

وإذا كان الهجري قد قضى حياته داخل الجزيرة العربية ، إلا أنه لم يصل إلى بلاد تربة والخرمة ، وإنما استقى معلوماته عن هذه البلاد من بعض الرواة والإخباريين الذين قابلهم في حواضر الحجاز الكبرى ، ونجده يشير إلى هذه الديار (رنية وتربة) فيذكر بعض أعلامها والملقبين في نهاية أسمائهم بـ (التربي) و(الرنوي) نسبة إلى تلك الناحيتين[٤] ، ومن أهل رنية من تعلم الهجري على يديه أثناء إقامته في بلاد هجر[٥]، أبو

---

(١) انظر الكتاب نفسه ، ترتيب ودراسة حمد الجاسر ، طبعة مكتبة العبيكان ، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الدارس لأحوال الجزيرة العربية ، بعد انتقال الخلافة الإسلامية من المدينة إلى العراق ، ثم إلى الشام يجد أن جل العلماء وأرباب القلم انصرفوا عن تدوين فكر وحضارة وتاريخ سكان الجزيرة العربية ، وسخر البعض منهم جهودهم على بلاد الحرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، أما جميع العلماء والمؤلفين وغيرهم فقد اتجهوا صوب حواضر الإسلام الكبرى في بلاد الشام ومصر والعراق والأندلس وغيرها من بلاد المسلمين الأخرى .

(٤) الهجري ، التعليقات والنوادر ، القسم الأول ، ص ١٥، ٢٤ ، ١١١ .

(٥) يذكر الهجري أن أبي محمد الرنوي من ساكني رنية أنشده شعراً لأحد شعراء قبيلة لهد ، وذكر الشعر في (١٣) بيتاً ، الهجري، التعليقات ، القسم الثاني ، ص ٥٥٥ .

محمد الرنوي الذي قال عنه أنه : " أفصح من رأينا ولقينا بهجر "[١] . ويذكر اسم رجل يدعى الغاضري [٢] . نسبة إلى غاضرة ، وهي فروع في عدد من القبائل ، منها : غاضرة قيس عيلان ، وهي من هوازن ، ويذكر أنه شاعر ، ومن أهل تربة ، ويقول عنه " وسمعت شيخاً غاضرياً من غاضرة قيس من ساكن تربة ، وهو يستعيذ : اللهم " إنا نعوذ بك من جنود الجراد ، وجبال البرد ، ونحوس الرياح ، وشهب الضر، وسحبان الشمس والقمر"[٣] .

ويذكر هذا العالم أن تربة وادٍ قرب مكة ، وهو للضباب ، وهذا القول ورد عند بعض المتقدمين كالهجري وغيره ، وليس قولاً صحيحاً ، فوادي تربة من الأعراض الكبار التي تنحدر فروعها من سروات الحجاز صوب نجد، والمسافة بين تربة ومكة تزيد عن المئين كيل ،واسم تربة يطلق على الوادي ، وفيها بلدة بهذا الاسم ، ذكرها بعض الجغرافيين والرحالة الأوائل ، والوادي من بلاد بني عامر بن صعصعة من هوازن. أما أرض الضباب فهي في حمى ضرية في بلاد نجد ، ولكن فرع منهم نزل في وادي كرى ، وهذا الوادي ن فروع وادي تربة[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥ ، ٢٤ ، ويذكر الهجري أن رنية بالحجاز ، والرنوي نسبة إلى بلاد رنية ، ورنية تهمز أحياناً (رنية) ، وهي من أشهر الأدوية التي تنحدر من السراة وتفيض في نجد ، ووادي رنية مأهول بالقرى والسكان ، وأكثر سكانه من بني عامر من هوازن .

(٢) ويقال إن اسمه جابر الغاضري ، من غاضرة قيس عيلان ، وكان شاعراً دون الهجري له (١١)بيتاً من الشعر ، ومنها :

رَأتْ غُصْنَهُ رَطبًا وغُصني تعللت به الحدُب حتى شال واغْبرّ جَانبهُ

انظر : الهجري ، التعليقات ، القسم الثاني ، ص ٥٥٧.

(٣) الهجري ، التعليقات ، القسم الأول ، ص ١١١. القسم الثاني ، ص ٧٧٥ .

(٤) أبو علي الهجري ، المصدر نفسه ، القسم الأول ، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦ . وللمزيد عن فرع الضباب الذين نزلوا في نواحي تربة ، انظر: عبيد الله بن عبد العزيز البكري .معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع .تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، مج١، ج١ ، ص٣٠٨ــ ٣٠٩ .

ويذكر الهجري قبائل هلال بن عامر ، ويقصد بهم الهوازنيين ، وهم من أشهر بطون عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهناك قبائل أخرى تدعى بني هلال [١] ، ولكن الهلاليين الهوازنيين تقع بلادهم في عالية نجد ، وتمتد بلادهم نحو الجنوب الغربي إلى قرب الطائف ، ويخالطون أبناء عمومتهم من الهوازنيين ، وتمتد جنوب شرق حتى تربة ووادي كرى وبيشة ويشتركون مع بني سلول في منطقة بيشة وما حولها [٢] .

٧ - الحسن بن أحمد الهمداني (ق٣هـ ٤هـ/ ق ٩م ١٠م) :

الهمداني : عالم يمني ، يعرف بـ (لسان اليمن) ، بلاده هي أرض همدان ، فصل الحديث عن وطنه الأول (همدان) في كتابه : الإكليل ، الجزء العاشر[٣] . يذكر أنه ولد عام (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، ولم نجد تفصيلات وافية عن بداية حياته ، عمل في شبابه على نقل الحجاج والتجار ما بين اليمن والحجاز[٤]، كما خرج إلى بعض حواضر العالم الإسلامي في الشام والعراق ، والتقى بالكثير من العلماء والأدباء داخل الجزيرة العربية وخارجها [٥]. وله مؤلفات عديدة منها: كتاب الإكليل في عشرة مجلدات ، وكتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، وكتاب الدامغة، وكتاب صفة جزيرة

---

(١) وبعضهم يسكن في نواحي عديدة من تهامة والسراة وغيرها .

(٢) انظر تعليقات حمد الجاسر على كتاب الهجري ، القسم الأول ، ص ١٣٦. ومن خلال جولات الباحث في محافظة بيشة عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، اتضح له أن بعض عشائر بيشة مثل بني سلول وغيرهم يجاورون ويختلطون أحياناً مع قبائل سبيع وغيرهم من سكان رنية .

(٣) كتاب الإكليل ، عشرة أجزاء ، لكنه لم يصلنا منها حتى الآن إلا أربعة أجزاء هي : الأول ، والثاني ، والثامن ، والعاشر ، ونأمل أن يتم العثور على الأجزاء الأخرى .

(٤) هذا ما ذكره عن نفسه في كتابه صفة جزيرة العرب ، تحقيق الأكوع (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ٣٥٦ . وجل حياة الهمداني كانت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري ، ويذكر أن وفاته كانت عام (٣٤٥هـ/٩٦٥م) .

(٥) هناك علماء كثيرون امتدحوا علمه ونبوغه، انظر مقدمة حمد الجاسر في كتاب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٨ .

العرب. وجميع هذه الكتب تشتمل على علوم ومعارف قيمة وغزيرة، ويصعب أن نجد مثلها في مصادر ومعارف أخرى[١].

كتاب صفة جزيرة العرب ، هو المؤلف الذي يهمنا في بحثنا ، وجل مادة الكتاب قامت على المشاهدة والخبرة والتجوال في ربوع الجزيرة العربية . ويشير الهمداني إلى رنية وتربة ويذكر أنهما من ديار بني هلال [٢] . وأثناء حديثه عن أرض السروات يذكر وادي رنية ، ويقول أيضاً أن من أرض نجد وأعراضها غرباً " بيشة ، وترج ، ورنية ، وتبالة"[٣] ، وصدق في هذه الإشارات فهذه الأوطان تأتي شرق السروات وغرب أوطان نجد وصحاريها[٤] .

ويسرد الهمداني أقوال وأشعار بعض الشعراء الذين قرضوا أشعارهم في مكة المكرمة، عند البيت الحرام ، وهم يستغيثون الله ، بعد أن أصاب أرض الجزيرة البلاء والجوع والقحط [٥] ، ومن أولئك الشعراء الشاعر النجدي الملقب بالحزازة العامري[٦]، الذي ذكر في شعره مواطن عديدة في أرض نجد وما جاورها، وأورد اسم (رنية) في شعره فقال:

---

(١) مؤلفات الهمداني رائدة وقيمة في موضوعاتها وتفصيلاتها وبخاصة عن تاريخ وحضارة وأنساب سكان الجزيرة العربية .

(٢) انظر : لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني. صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٣١٢ .

(٤) مشاهدات الباحث أثناء تجواله في بلاد السراة وأجزاء من أوطان نجد الغربية خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٥) انظر: أسماء الشعراء الذين قالوا شعراً في مكة يطلبون الغيث والخير من الله ، وانظر أشعارهم والمواطن التي ذكروها . صفة جزيرة العرب ، ص ٣٧٨ــ ٣٨٥ .

(٦) لا نجد ترجمة لهذا الشاعر ، ويبدو أنه هوازني من بني عامر بن صعصعة ، وذلك نسبة إلى اسمه الأخير (العامري) .

رويـــت قيعتـــا تبالـــة غيثـــاً فـــذوات الآصـــاد فـــالعبلاء
فقريحاؤهـــا فرنيـــة قـــد ســـأ ل فـــؤادي كلاخـــه فـــالكراء
فعكـــاظ فـــذو المجـــاز مـــع الحـــر ة فالأبرقـــات فـــالجرواء[١]

ويعدد هذا الرحالة محطات الطرق التجارية من صنعاء إلى الطائف ، ويقول عـن رنية وتربة" من تبالة إلى القريحا (في وادي رنبة)[٢] (٢٢) ميلاً ، ثم إلى كرى ، ومن كرى إلى تربة (١٥) ميلاً "[٣] . ويعدد الرداعي في أرجوزته محطات الطريق من اليمن إلى الحجاز، فيقول :

إلى القريحا سدد المناهج يشرعن في مشرعها الصهارج[٤]

ويذكر الهمداني أن القريحا منهل ، وكان فيها قرية في عصرة ، وهي علـى وادي رنية[٥].

ومن شعر الرداعي أيضاً :

ثنيـــة الحـــرة عنـــها غُيّـــرا حيـــث البريـــد جـــازه عيرالفـــرا
ثم علـــى الرفـــضة تـــأتم كـــرا ثم بـــشريانة لا حيـــث القـــرى
ثم براحـــا إذا تعـــد كركـــرا بها تـــرى ذاك البريـــد الأغـــبرا[٦]

---

(١) انظر الهمداني ، صفة الجزيرة ، ص ٣٧٩ .

(٢) ما بين قوسين إضافة من الباحث .

(٣) الهمداني ، صفة الجزيرة ، ص ٢٩٦، ٣٤٠ . والهمداني امتاز على غيره من الجغرافيين والرحالة الذين ذكروا محطات الطريق السروي من اليمن إلى الحجاز ، فذكر المسافات بين كل محطة بالأميال . المصدر نفسه، ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٤) الهمداني ، صفة ، ٤٣٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ .

ويشير الهمداني إلى كرا ، وهو أحد روافد وادي تربة [١] ، كما ذكر مصطلح (البريد) وذلك يؤيد قول أبي الفرج قدامة عندما أشار إلى مترل ودار أصحاب البريد في تربة وكرا وغيرهما. [٢]

ويواصل الرداعي في أرجوزته وصف محطات الطريق فيقول :

ثم الكراع ولهن ريدة ينسلن للمعلف من أبيدة [٣]

وهنا يرد اسم أبيدة ، وهي واد من أعراض نجد ، وهو أحد فروع وادي تربة، بل يعد أحياناً الجزء الرئيس من أعالي وادي تربة[٤].

٨- أبو الفرج قدامة بن جعفر (ق٣هـ ٤ هـ/ق٩-١٠م) :

قدامة بن جعفر من أسرة نصرانية في العراق ، اعتنق الإسلام ولازال صغيراً ، ونبغ في التعليم ، واتصف بالنباهة والذكاء ، ولا نعرف سنة ميلاده ، إلا أنه في عام (٢٩٧هـ/٩٠٩م) ، وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله ، عين على رأس ديوان الخراج في الدولة العباسية ، وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاة الخليفة المقتدر عام (٣٢٥هـ/٩٣٧م) [٥]. وتوليه هذا العمل الإداري مكنه من التنقل في أنحاء الدولة العباسية، فكتب عن موظفيها ، وعن أموالها وضرائبها وخراجها ، كما أنه أشار إلى الطرق الرئيسة التي تربط بغداد مع غيرها من أجزاء الدولة ، وذكر محطاتها ، وما تمتاز به من

---

(١) ويذكر الهمداني أن (كرا) واد عميق فيه نخل وماء وزروع ، صفة جزيرة العرب ، ٤٣٤ .

(٢) انظر أبو الفرج قدامة . نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٨٨ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٤٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٣٤ . وكتاب : صفة جزيرة العرب ، من أهم الكتب التي تحتوي على معلومات قيمة وجديدة عن مناهل ومواطن الجزيرة العربية وسكانها ، ويحتاج إلى من يتخذه عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه ، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد من يتولى هذا الموضوع بالدراسة والتحليل .

(٥) انظر: أحمد رمضان. الرحلة والرحالة المسلمون (جدة : دار البيان العربي ، د. ت) ، ص ٦٣

خدمات وصعوبات [١]. ويذكر أنه ألف عدداً من المؤلفات ، لكنها ضاعت ولم يصلنا منها إلا نبذة من كتاب كبير له عرف بـ : الخراج وصنعة الكتابة[٢]. وهذا الكتاب قيم في مادته العلمية مع محدودية صفحاته ، لكنه من الكتب الجيدة في تاريخ المال والخراج في عصر الدولة العباسية [٣].

وقدامة يذكر محطات الطريق من الحجاز إلى اليمن عبر شرق السروات ، ويشير إلى لمحة من تاريخ تربة ورنية فيقول " من الطائف إلى تربة، وهي قرية عظيمة ، بها عيون جارية وزروع، وهي قرية خالصة مولاة المهدي[٤] ، ومن تربة إلى صفر[٥] ، وهي منزل فيها داران لصاحب البريد في الصحراء، وفيه ماء عذب من بئرين ، ومن صفر إلى كرى منزل فيه نخل وعين عذبة ، وليس إلا منزل صاحب البريد ، ومنزل القوافل ، وهي بطن وادي كثير النخل ، ومن كرى إلى رنية منزل في صحراء ، ونخل كبير ، وعين عظيمة عذبة ، والعمران حولها على دعوة ، ومن رنية إلى تبالة... " [٦]. وفي هذه النبذة نجد قدامة يذكر معلومات حضارية جيدة عن تربة ورنية خلال القرن الرابع الهجري ، وقد يصعب أن نعثر عليها في مصدر آخر أثناء تلك الفترة الإسلامية المبكرة .

---

(١) للمزيد انظر: المرجع نفسه ، ص ٦٣ ــ ٧٠ .

(٢) أبو الفرج ، قدامة بن جعفر . نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة . ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة . تحقيق دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ، ص ١٨٤ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) خالصة من موالي الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ــ١٦٩هـ/٧٧٤ــ٧٨٥م) ، وكانت من المحظيات عنده، ولها بعض الأملاك والعقارات في العراق والحجاز وبلاد السروات

(٥) صفر ، وهناك من قال (الصفن) وهي من أجزاء منطقة تربة . انظر غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ــ ق١٠هـ/ ق٧ــق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص ١٨١ــ١٨٢ .

(٦) أبو الفرج قدامة ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ١٨٨ .

٩- شمس الدين المقدسي (ق٤هـ/ق١٠م) :

عرف هذا الجغرافي بأسماء عديدة ، وذلك كما ذكر عن نفسه[١]. فتسمى بالمقدسي ، والفقيه ، والفلسطيني ، والزاهد ، والوراق[٢]، مع أن لقبه الحقيقي المقدسي، لأنه من مواليد بيت المقدس ، ولا نعرف كثيراً عن مولده ونشأته ، لكنه ألف كتابه القيم : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، في مدينة شيراز من أرض فارس سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م)، وكان عمره آنذاك أربعون عاماً [٣].

جمع المقدسي في كتابه: أحسن التقاسيم، تفصيلات كثيرة عن الأحوال الجغرافية والبشرية والحضارية في بلدان عديدة من أجزاء الدولة الإسلامية ، وبخاصة في قارتي آسيا وإفريقيا، وعن أرض الجزيرة العربية، وأسهب الحديث عن أحوال الحجاز واليمن ، وذكر حياة التجارة والتجار فيها ، وأشار إلى كثير من التعاملات التجارية في هذه الأوطان[٤]، ولم يذهب أو يشاهد بلاد تهامة والسراة ، أو بعض القرى والبلدان شرقها ، ويؤكد ذلك في قوله " والسروات معدن الحبوب والخيرات ، والتمور، والعسل الكثير"[٥]، وفي مكان آخر يقول: " ولا أدري أهي مدن أم قرى ، لأني ما دخلتها " [٦]، ويقول أيضاً : " وهذه السروات عامرة بها الأعناب والمزارع" [٧].

---

(١) كان أحياناً يتنكر في زيه أثناء تجواله في الأرض ، وذلك من أجل الحصول على بغيته من المعلومات التي يريد جمعها لكتابه ، ويقول : " لقد سميت بست وثلاثين اسماً دعيت وخوطبت بها مثل: مقدسي ، وفلسطيني... وغير ذلك ، لاختلاف البلدان التي حللتها ، وكثرة المواضع التي دخلتها " . انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم تحقيق دي .غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٦م) ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ١٢٩ــ ١٣٥ .

(٤) انظر المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

ومن هذه الأقوال نعرف أن هذا الجغرافي زار مواطن عديدة في الحجاز واليمن ، لكنه لم يأت ولم ير السروات ، أو رنية وتربة ، إلا أنه دون ما ذكره غيره من الرحالين الذين أشاروا إلى محطات الطريق الجبلي الذي يخرج من اليمن إلى الحجاز ، فقال : "... إلى بيشة ، ثم إلى تبالة ، ثم إلى رنية ، ثم إلى كدى[١] ، ثم إلى صفر[٢]، ثم إلى تربة"[٣]. ولم يذكر معلومات أكثر عن هذه المحطات ، وعن سكانها، وعن الحياة العامة والخاصة فيها ، مع أنه أسهب في تفصيلات أخرى عن مدن الحجاز واليمن الكبرى ، وبخاصة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ولا يستبعد أن سكان رنية وتربة كانوا على اتصال بأهل الحجاز في الطائف ومكة والمدينة ، وربما تأثروا بما شاهدوه أو عرفوه من الحجازيين[٤].

١٠- ناصر الدين خسرو (ق٤هـ ٥هـ / ق١٠-١١م) :

ولد ناصر خسرو بالقرب من مدينة بلخ في شرق العالم الإسلامي، عام (٣٩٤هـ/١٠٠٣م) ، وخدم في الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ/٩٦٢-١١٨٦م) في عهدي السلطانين محمود الغزنوي وابنه مسعود، وزار الهند ، ثم عاد إلى فارس وشغل منصباً كبيراً في دولة السلاجقة (٤٣٢- ٥٨٣هـ/ ١٠٤٠- ١١٨٧م)[٥]. عاش في جو مضطرب عقائدياً ، فكان في حيرة من أي المذاهب يتبع ، (المذهب السني ، أم الشيعي) ، وكان على علم ودراية بالعديد من العلوم والمعارف ، ساح في بلدان عديدة مثل: الشام ، والعراق، ومصر، وبلاد فارس ، والحجاز ، وذهب إلى الحج عدة مرات ،

---

(١) والمقصود بـ (كدى) هنا: أي كرى (كرا) .

(٢) وصفر : وردت عند بعض الجغرافيين (الصفن) .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٢ .

(٤) أنظر: المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٥) للمزيد انظر : أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ٢٣٩- ٢٤٩ . وهناك روايات تقول إنه مات في العقد الثالث من القرن الخامس الهجري ، وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه لم يدرك عصري الدولتين الغزنوية والسلجوقية . انظر: مقدمة كتاب: سفر نامة لناصر خسرو ، النسخة المترجمة في جامعة الملك سعود عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٥ .

ودون مشاهداته في بعض مؤلفاته[١] . وكتابه : سفر نامة (رحلة ناصر خسرو القبادياني)[٢] ، هو المؤلف الذي دون فيه جزء من رحلاته في بلدان عديدة من قارتي إفريقياً وآسيا ، وذكر بعض التفصيلات عن نواح عديدة في الجزيرة العربية مثل: المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والطائف، وأجزاء من بلاد نجد والبحرين[٣] . وعند وصوله إلى مكة ثم الطائف متجهاً نحو اليمامة والبحرين أشار إلى بعض البلاد جنوبي الطائف وشرق السروات فقال عنهم " العمران قليل في بلاد العرب "[٤]، ثم ذكر أن سكانها أهل إبل وماشية ، ومساكنهم الخيام[٥]. وسمى الأرض من مكة والطائف إلى اليمن بأرض حمير ، وقسم هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام ، جزء ساحلي على البحر، وآخر داخلي. والأجزاء الداخلية أو الشرقية ، مما سماه (أرض حمير) ، وهذا مصطلح غير صحيح لأن اسمها الحقيقي (السراة) أو (بلاد السروات) [٦]، فقال عنها " كثيرة المدن مثل نجران وبيشة"[٧]، ولم يشر إلى تربة ورنية ، إلا أنه قال عن هذه النواحي الشرقية والسروية ، فيها " قرى كثيرة وبوادي، لا تدخل تحت الحصر ، وفي كل بادية حاكم مستبد ، لايخضع لأي سلطة

(١) أنظر تفصيلات أكثر ، أحمد رمضان ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

(٢) ترجم هذا الكتاب من اللغة الفارسية إلى لغات أخرى عدد من المترجمين العرب والغربيين ، والترجمة العربية التي اعتمدنا عليها، هي نسخة جامعة الملك سعود بالرياض ، ترجمة خالد البدلي عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص ٥ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ .

(٦) بلاد حمير في قعر اليمن ، أما البلاد المرتفعة والممتدة من الحجاز إلى اليمن فهي أرض السروات ، ويطلق عليها أيضاً جبال الحجاز أو السراة . هناك عشرات البحوث والمؤلفات التي أصدرناها خلال الثلاثين عاماً الماضية وبها الكثير من التفصيلات عن جبال الحجاز أو السروات.

(٧) ناصر خسرو ، ص ١٤٢ .

مركزية ، وتكثر في هذه النواحي السرقة والقتل والنهب، ويكثر السكان في هذا الجـزء الشرقي"[١] .

١١- أبو عبيد الله عبد العزيز بن أبي زيد محمد بن أيوب البكري (ق٥ هـ / ق١١م) :

يعد البكري من أشهر جغرافيي القرن الخامس الهجري، ولد في الأندلس، ولم نستطع معرفة تاريخ ميلاده، إلا أنه نشأ وترعرع في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (٤٢٢ــ٤٨٦ هـ / ١٠٣٠ ــ١٠٩٣م)، وتوفي (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وصفة أحد المؤرخين الأوائل ، فقال: " وكان أبو عبيد البكري من مفاخر الأندلس ، وهو أحد الرؤساء والأعلام ، وتواليفه قلائد في أجياد الأيام "[٢]،

والبكري سليل أسرة من الأمراء حكمت في بعض مدن الأندلس [٣]، في عصر بني العباد ملوك أشبيلية ، أعظم ملوك الطوائف ، اهتم بالعلم والمعرفة منذ وقت مبكر ، وبرع في علوم عديدة تاريخية ولغوية وأدبية وجغرافية [٤]، ومن أهم مؤلفاته موسوعته الجغرافية التي سماها (المسالك والممالك) ، ومن هذه الموسوعة كتابه : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع [٥]، وهذا الكتاب مصدرنا في هذه الدراسة، وهو قاموس لغوي جغرافي ، يذكر المؤلف في مقدمته سبب تأليفه ، فقال: " فإني لما رأيت ذلك قد استعجم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٢. وخسرو مثله مثل غيره ممن لم يصلوا إلى السروات أو رنية وتربة ، فهم جميعاً يسمعون من الرواة الذين ينقلون لهم أخبار تلك البلاد ، أو أنهم ينقلون معلوماتهم من بعض المصادر والمؤلفات السابقة لعصورهم .

(٢) أنظر : أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) ألف البكري العديد من المؤلفات في اللغة والجغرافيا والتاريخ ، وفصل الحديث في كثير من الأحداث التاريخية والحضارية في الأندلس وشمال إفريقيا خلال القرون الإسلامية الوسيطة .انظر أحمد رمضان ، ص ١٤٥ ــ ١٥٩ .

(٥) تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) (مجلدان في أربعة أجزاء) .

على الناس ، أردت أن أفصح عنه، بأن أذكر كل موضع مبين البناء ، معجم الحروف ، حتى لا يترك فيه لبس ولا تحريف" [١].

ويذكر هذا الجغرافي مواطن بعض القبائل في السروات وما جاورها ، فيقول : " ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة ، وما صاقب تلك البلاد ، وما والاها ، فانتشروا فيها إلى أن أظهر الله الإسلام وأهله"[٢]. ويبدو أن هذا القول غير دقيق ، لأن قبائل خثعم لا تستوطن وحدها ما بين أرض بيشة وتربة، وإنما هناك قبائل أخرى عديدة تسكن أعالي السروات وشرقها مثل عشائر عامر بن صعصعة الهوازنيين، والأزديين مثل غامد وزهران وغيرها[٣] .

ويعدد البكري مخاليف مكة النجدية ، ويذكر منها تربة ، وبيشة ، وجرش، وتبالة[٤] . ويشير إلى أن بيشة ، ورنية ، وتربة " أودية تنصب من جبال تهامة مشرقة في نجد " [٥] . والصحيح جبال السروات وليست جبال تهامة ، وأورد اسم رنية بالنون، وذكر أيضاً بـ (القاف) (رقية) [٦]. ومن الأمثلة العربية قولهم " عرف بطني بطن تربة"[٧] ، وهو يضرب للرجل ، الذي حقق ما يريد ، وأول من قاله عامر بن مالك أبو

---

(١) المصدر نفسه ، مج١ ، ج١ ، ص١ ، وقال أيضاً " هذا كتاب ذكرت فيه ، إن شاء الله ، جملة ماورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والمياه والآبار، والدارات، منسوبة محددة، ومبوبة على حروف المعجم ... ". المصدر نفسه، ج مج١، ج١، ص ١.

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، مج١، ج١ ، ص ٦٣ .

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في هذه الأوطان خلال السنوات الماضية المتأخرة . وقلنا أن هذا الكلام غير دقيق ، ولم نقل أنه غير صحيح ، ويبدو أن البكري نقل معلوماته من مصادر أخرى سابقة لعصره ، لأنه لم يشاهد أرض السروات أوتربة ورنية وما حولهما .

(٤) البكري ، مج١ ، ج١ ، ص ٣٠٨ــ ٣٠٩ .

(٥) المصدر نفسه ، مج١ ، ج١ ، ص ٢٩٤.

(٦) المصدر نفسه ، مج١ ، ج١ ، ص ٢٩٤. وأشار إلى وادي رنية أنه يصب من تهامة في نجد ، والصحيح أنه يأتي من أرض السروات متجهاً نحو نجد . المصدر نفسه ، مج١، ج٢، ص ٦٧٧ .

(٧) البكري ، معجم ، مج١ ، ج١، ص ٣٠٩ .

البراء ، ويقال أن موطنه تربة ، فعندما رجع إلى أرضه في تربة ألصق بطنه بالأرض وقال هذا المثل، حباً وشوقاً إلى بلاده وموطنه الرئيس.

١٢- محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي (ق٥ ـ ٦هـ/ق١١ـ١٢م):

ولد الرحالة الإدريسي في مدينة سبتة بالمغرب سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) ، بدأ رحلته ولم يتجاوز العشرين من عمره، ساح في بلدان عديدة في قارات أوربا وإفريقيا وآسيا ، عاش فترة من الزمن عند ملك صقلية المسيحي ، روجر الثاني ، وطلب الملك روجر منه أن يدون له كتاباً شاملاً يصف فيه مملكته وسائر الآفاق المعروفة في ذلك العهد، فرحب الإدريسي بهذا الطلب ، ومكث (١٥) عاماً في تأليف هذا المؤلف[١]، وأنجزه في عام(٥٤٨هـ/١١٥٤م) ، وسماه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق [٢]، وهو سفر كبير جمع فيه معلومات جديدة وقيمة عن تواريخ وحضارات بلدان عديدة في عدد من قارات العالم[٣].

زار الإدريسي الحجاز ، وكتب عن مدنه وسكانه ، وبخاصة المدينتين المقدستين (مكة والمدينة)، وأشار إلى مخاليف مكة ، التي أطلق عليها (الحصون) ، وذكر تربة وجرش وعكاظ وغيرها في أرض السروات[٤]. وتعرض في حديثه إلى محطات الطريق الممتدة من مكة والطائف إلى صنعاء ، ولم يذكر محطتي رنية وتربة ، وأشار إلى محطات أخرى حول تربة مثل (كرى) [٥]، وأشار إلى أنها قرية عامرة كثيرة النخل والعيون والمزروعات [٦] . وأثناء حديثه عن الطائف ومكة يذكر ما حولها من الأودية الغنية بمياهها ومزروعاتها ،

---

(١) للمزيد عن الإدريسي ، انظر: أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ١٦١ـ١٧٥.

(٢) طبع كتاب : نزهة المشتاق ، لأول مرة في روما عام (١٥٩٢م) ، ثم طبع بعد ذلك عدة مرات ، واعتمدنا في هذا البحث على طبعة (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) (مجلدان) .

(٣) أنظر: المصدر نفسه ، (مجلدان) .

(٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ١٤٥ .

(٥) كرى : ضمن منطقة تربة ، وحاضرة تربة نفسها كانت هي الأخرى مليئة بأشجار النخيل والمزروعات والمياه العذبة .

(٦) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١، ص ١٤٦ .

فقال: "... وإذا خرج أحد عن مكة (والطائف) في كل جهة تلقاه أودية هناك جارية، وعيون مطردة ، وآبار غدقة ، وحوائط كثيرة ، ومزارع متصلة "[١].

والإدريسي كغيره ممن لم ير السروات وبلاد تربة ورنية ، فهو يدون ما سمع من الرواة ، وينقل عمن سبقه من العلماء السابقين لعصره[٢].

١٣- ابن جبير (ق٦-٧هـ/ ق١٢-١٣م). ١٤- ابن بطوطة (ق ٨ هـ/ق١٤م):

هذان الجغرافيان من مواطني غرب العالم الإسلامي، فالأول : محمد بن جبير البلنسي الأصل الغرناطي الاستيطان بمدينة بلنسية في الأندلس ، ولد عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م)أو (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وتوفي في الإسكندرية بمصر عام (٦١٤هـ/١٢١٧م). يعد ابن جبير من رواد الرحالة ، وممن سار في رحلات ثلاث من بلاده الأندلس والمغرب إلى أرض الحرمين، وفي كل رحلة كان يؤدي فريضة الحج ، ومما دون عبد القدوس الأنصاري في ترجمته لابن جبير قوله " ابن جبير من أوسع الرحالين العرب فكراً ، وأشملهم ملاحظة ، وأجملهم أسلوباً ، وأنقاهم تعبيراً ، وأسلسلهم بياناً ، وأعمقهم استنتاجاً وإدراكاً ، وأكثرهم اهتماماً بالأوضاع السياسية الإسلامية العامة في زمنه"[٣]. دون ابن جبير كتابه : الرحلة[٤]، ودرسه وحققه لفيف من العلماء المستشرقين والعرب[٥]، وعند وصوله إلى أرض الحجاز كتب تفصيلات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإدارية والسياسية في كل من مكة والمدينة[٦] .

أما الرحالة الثاني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المشهور بـ (ابن بطوطة)، ولد في طنجة سنة (٧٠٣هـ/١٠٣٤م) وتعلم في بداية حياته علوم الشريعة

---

(١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٤١ .

(٢) بلاد تربة ورنية وما جاورها سادها النسيان عند معظم مؤلفي كتب التراث خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، ولو لم تكن على الطريق التجاري الذي يخرج من اليمن إلى الحجاز ، لكانت مجهولة تماماً ، مثلها مثل غيرها من البلدان والقرى المعزولة في نواح عديدة من أرض الجزيرة العربية .

(٣) أنظر: أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ، ٣٢٤ .

(٤) انظر : أبو الحسين محمد بن جبير . رحلة ابن جبير (بيروت : دار صادر ، د. ت) ، ص ٨ وما بعدها .

(٥) أنظر: أحمد رمضان ، ص ٣٢٨ــ ٣٢٩ .

(٦) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٥٧ وما بعدها .

والعربية، ثم بدأ رحلاته وهو في سن الثانية والعشرين ، ومكث حوالي (٢٨) عاماً يسيح في كثير من البلدان في قارات أوربا وإفريقيا وآسيا[١]، ويعد ابن بطوطة أعظم وأشهر الرحالة المسلمين قاطبة ، وهو بحق شيخ الرحالين . جاء إلى حواضر الحجاز وكتب عن أرضها وسكانها ، وكتابه الشهير: رحلة ابن بطوطة . المسماة (تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار[٢]، طبعت في أوربا منذ القرن (١٣هـ/١٩م) وترجمت إلى لغات عديدة [٣]،

وتعد رحلتي ابن جبير وابن بطوطة أفضل وأشهر رحلتين عبر أطوار التاريخ الإسلامي ، وهذان الرحالان لم يريا أو يزورا بلاد السراة ، أو أرض تربة أو رنية ، وإنما التقيا ببعض سكان هذه المناطق في مكة، فيذكرا أنهم كانوا أصحاب قوة وشجاعة وعقيدة صادقة ، وأن بلادهم أرض زروع وخيرات[٤]، وقالا : " وبلادهم ـــ أي أهل السراة ومن يقطن شرقهم ـــ خصبة متسعة كثيرة التين والعنب ، واسعة المحراث، وافرة الغلات"[٥] . ويشيرا إلى أن أهلها كانوا يميرون أهل الحجاز بالحبوب وخيرات كثيرة [٦]. وفيما يتعلق بفصاحة أهل السراة وتربة ورنية وغيرها قالا " والقوم عرب صرحاء فصحاء حفاة أصحاء ، لم تغذهم الرقة الحضرية ، ولا هذبتهم السيرة المدنية ، ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية ، فلا نجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية "[٧]. ودونا صوراً من حياتهم الاجتماعية، وبخاصة نوع لباسهم ، فقالا : " ولا ملبس لهم سوى أزر وسخة ، أو جلود يستترون بها ، وهم مع ذلك أهل بأس ونجدة، لهم القسي العربية الكبار" [٨].

---

(١) أنظر: أحمد رمضان ، ص ٣٦٩ـــ ٣٨٦ . وهناك دراسات كثيرة بعدد من اللغات عن ابن بطوطة ورحلته.

(٢) النسخة التي اعتمدنا عليها من تحقيق على المنتصر الكتاني (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٤٠٥هـ/١٩٨٥م (جزءان) .

(٣) أحمد رمضان ، ص ٣٨٤ .

(٤) أنظر : ابن جبير ، ص ١١٠ ، ابن بطوطة ، ج١، ص ١٨٣ .

(٥) ابن جبير، ص ١١١ ، ابن بطوطة ، ج١، ص ١٨٣ .

(٦) المصدران نفسهما .

(٧) المصدران نفسهما . للمزيد من التفصيلات انظر: ابن جبير، ص ١١١ـــ ١١٢ .

(٨) ابن جبير ، رحلة ، ص ١١٢ ، ابن بطوطة ، ج١، ص ١٨٣. والواقع أن أهل تربة ورنية وأرض السروات عموماً كانوا في عصور ابن جبير وابن بطوطة يعيشون حياة الكفاف ، فجميع مأكولاتهم ومشروباتهم من أوطانهم ، وكذلك ألبستهم من مصنوعات أيديهم ، وأغلبها من الجلود أو الأقمشة الرخصية التي يجلبونها من أسواق الحجاز ، وإذا كان فيهم أغنياء مقتدرين مادياً فهم قلة قليلة مقارنة بعامة السكان في هذه الأوطان وغيرها من البلدان البعيدة عن مراكز الحضارة الرئيسة في اليمن والحجاز والبحرين وغيرها .

١٥- ياقوت الحموي (ق٦-٧هـ/ق١٢-١٣م) :

شهاب الدين عبد الله ياقوت الحموي الرومي، ولد عام (٥٦٥هـ/١١٧٩م) ، كان في بداية حياته أسيراً ، نقل من بلاد الروم ، وبيع في أسواق بغداد ، وعمل مع سيده في التجارة ردحاً من الزمن ، ثم أعتقه سيده فاشتغل بتجارة الكتب ، ثم امتهن السفر والترحال ، فتنقل في مواطن عديدة في قارتي آسيا وإفريقيا ، واستقر به القرار في مدينة مرو ، وبدأ في تدوين معجمه الشهير ، معجم البلدان ، عام (٦١٢هـ/١٢١٥م) ، وانتهى منه في سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) . وله كتب أخرى عديدة مثل :مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، طبع في أربعة أجزاء في لندن عام (١٨٥٣م) ، كما ألف كتاب آخر اسمه : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، وطبع في عدة أجزاء سنة (١٩٠٧ــ ١٩١١م)، ويعرف باسم : معجم الأدباء [١].

وكتاب : معجم البلدان ، هو الذي يهمنا ، جمع ياقوت مادته من عشرات الكتب والمصادر ، وذكر كثيراً منها في كتابه ، طبع ونشر أكثر من مرة ، وأشاد به كثير من العلماء في الشرق والغرب ، والنسخة التي اعتمدنا عليها هي طبعة دار صادر في بيروت ، ويقع في خمسة مجلدات[٢] .

أشار هذا الجغرافي الرائد لتربة ورنية ، ولم يزرهما ، وإنما نقل بعض الأخبار عنهما من بعض المصادر التي اطلع عليها في القرن السادس الهجري ، فذكر أن اسم (تربة) بالضم، ونقل عن عرام السلمي أنها واد بالقرب من مكة ، يسكنها بنو هلال[٣]، وهذا كلام غير صحيح فهي إلى جنوب وشرق الطائف[٤]، وقال عن الأصمعي ، تربة : وادي للضباب فيه النخل والزرع والفواكه ، ويشاركهم فيه هلال وعامر[٥]. وذكر عن أحمد بن محمد الهمذاني قوله " تُربة وزبية[٦]،وبيشة هذه الثلاثة أودية ضخام.. أسافلها في نجد

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن ياقوت انظر: أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ١٧٧ــ ١٨٨ .

(٢) انظر ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : داري صادر وبيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) (خمسة مجلدات في حوالي ثلاثة آلاف صفحة) .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢١ .

(٤) وهذا موقعها الصحيح حتى اليوم .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢١ .

(٦) زبية : المقصود بها رنية .

وأعاليها في السراة "[١]. وفي رواية أخرى أن وادي تربة يسيل من السراة ويفرغ في نجران[٢] ، وهذا وصف غير دقيق ، لأن تربة تبعد عن نجران تجاه الشمال مئات الكيلومترات ، ولا تتصل نجران بتربة على الإطلاق، وأشار ياقوت إلى المثل العربي (عرف بطني بطن تربة) ، وشرح أن أبي براء (ملاعب الأسنة) عامر بن مالك هو الذي قال هذا المثل عندما عاد إلى بلاده تربة بعد أن غاب عنها فترة من الزمن[٣].

وأشار ياقوت إلى رَنيْة [٤]، بفتح الأول وسكون الثاني ، ويقال " رنا إليه ، يرنو رنواً، إذا أدام النظر ، وهي قرية من حد تبالة يسكنها بنو عقيل ، وهي قرب بيشة [٥]، وكلها لبني عقيل ، ومياهها بثور"[٦] .

١٦- جمال الدين يوسف بن يعقوب ابن المجاور (ق٧هـ/ ق١٣م):

ابن المجاور ، رحالة من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، قيل أنه فارسي ، ورأي أخر يذكر أنه دمشقي من بلاد الشام[٧]، ساح في بلدان عديدة ، وله

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . وهذا المثل قد ذكره أيضاً البكري في كتابه : معجم ما استعجم ، مج١ ، ج١، ص ٣٠٩.

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٧٤ .

(٥) عن تبالة وبيشة انظر : دراستين منفصلتين ، الأولى منشورة في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي والمنعقد في البحرين بالمنامة من (٧ــ١٤٢٨/٤/١٠هـ الموافق ٢٤ ،٢٧ /أبريل/٢٠٠٧م) . ص ١٧٩ــ ٢١٥ . والدراسة الأخرى عن بيشة في مداولات اللقاء العلمي التاسع لدول الخليج الذي عقد في جدة من (١٦ــ١٤٢٩/٤/١٩هـ الموافق ٢٢ــ٢٠٠٨/٤/٢٥م) ، ص ٢٩١ــ ٣٣٤ .
والدراستان نشرتا أيضاً في كتاب : غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ــ ق١٠هـ/ق٧ــ ق١٦م) (الرياض: مطابع الحميضي، ٣١ــ١٤٣٢هـ/١٠ــ٢٠١١م) الجزء الثاني ، ص ٣٥٧ــ ٤٧٠ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص ٧٤ . والبثور: هو الماء الذي يجري تحت الحص على مقدار ذراع أو ذراعين .

(٧) للمزيد عن ابن المجاور وكتابه (تاريخ المستبصر) ، انظر: غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٢ــ ١٤٣٤هـ/٢٠١١ــ ٢٠١٣م) الأجزاء ، الثالث ، ص ٣٣٩، والرابع ، ص٣٣، والخامس، ص٣٩.

كتاب هو: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، والمعروف بـ (تاريخ المستبصر) [١]، اهتم به بعض المستشرقين فدرسوه وحققوه أكثر من مرة[٢] .

وكتاب ابن المجاور (تاريخ المستبصر) يشتمل على تفصيلات جيدة عن تاريخ وحضارة أجزاء من بلاد الحجاز واليمن ، وأشار إلى الديار الواقعة بين اليمن والحجاز مثل سكان السروات ، وبيشة ، ورنية، وتربة ومن جاورهم فيقول عنهم " إنهم قبائل وفخوذ من العرب ، ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشائخ منهم وفيهم ، وهم بطون متفرقة ..." [٣]، ويضيف قائلاً " جميع هذه الأعمال متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب ، وبطن من بطون البدو في قرية"[٤] . ويبدو من حديث ابن المجاور الدقة في وصف بلاد وسكان هذه الأوطان ، فالذاهب اليوم من أبها أو خميس مشيط نحو بيشة ورنية والباحة وتربة يجد فعلاً أن سكان هذه البلاد لازالوا كما وصفهم هذا الرحالة ، فكل بطن أو عشيرة تقطن في مكان محدد لها ، ويتولى إدارة شؤونهم أعيانهم وشيوخهم[٥].

ويضيف ابن المجاور معلومات قيمة عن قوة وبأس أهل هذه البلاد، وعن مكانة شيوخهم وأعيانهم بينهم فيقول : " ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها ، كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لا يحكم عليهم سلطان .." [٦]. ويتحدث عن

---

(١) انظر : الكتاب ، تحقيق أوسكار لوفغرين (ليدن : مطابع بريل ، ١٩٥١م) (جزءان) .

(٢) انظر ، ابن جريس ، القول المكتوب ، ج٣، ص ٣٣٩ .

(٣) ابن المجاور ، ج١، ص ٢٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٧ .

(٥) شيوخ القبائل لازال لهم مكانة عند الدولة وعند أقوامهم ، لكن ليس بنفس الدرجة التي كان عليها شيوخ القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وسبب ذلك أن مؤسسات الدولة الحديثة تولت إدارة البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، في حين أن هذه المؤسسات كانت مفقودة في القرون الإسلامية الماضية ، ومن ثم فشيخ القبيلة لازال على رأس الهرم في عشيرته أو قبيلته ، لكنه لا يملك من النفوذ والهيمنة ، كما كان عند الأوائل من أعيان وشيوخ القبائل قديماً .

(٦) ابن المجاور ، ج١، ص ٣٧ .

مزروعاتهم وخيرات بلادهم فيقول : " وجميع زرعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكروم ، والرمان واللوز ، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات"[١].

والسائح في أرض بيشة ورنية وتربة وبلاد السروات يرى صدق ما ذكر ابن المجاور ، فهذه بلاد مأهولة بالسكان ، مليئة بالخيرات الزراعية والحيوانية[٢].

١٧- ابن فضل الله العُمري (ق٨هـ/ق١٤م) :

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى فضل الله العُمري، ولد في دمشق عام (٧٠٠هـ/١٣٠١م)، وتعلم فيها بداية حياته ، وتتلمذ على عدد من العلماء والمشائخ في عصره . عمل في عصر الدولة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) في عدد من الوظائف الحكومية ، وكان بارعاً في أداء عمله ، اهتم بالعمل والترحال ، وألف عدداً من المؤلفات الحسان مثل: فواصل السمر في فضائل آل عمر ، أربعة مجلدات. والدعوة المستجابة وصبابة المشتاق والمدائح النبوية ، مجلد واحد . وسفرة السفرة ودمعة الباكي ويقظة الساهر ونفحة الروض. وكتابه الموسوعي ، مسالك الأبصار في الممالك والأمصار ، في عشرين مجلداً[٣].

والكتاب الأخير " مسالك الأبصار ..." مقصدنا ، فهو كتاب جامع ، تحدث فيه عن ممالك الإسلام في أجزاء من قارتي إفريقيا وآسيا ، واعتمدنا على الجزء الذي سماه: مسالك الأبصار وممالك الأمصار(ممالك مصر والشام والحجاز واليمن) . وهذا الجزء حققه أيمن فؤاد سيد، وطبعه المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة [٤].

---

(١) المصدر نفسه ، ج١، ص ٣٨ .

(٢) كان هذا الرخاء متواجداً بنسبة كبيرة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وقد أدركناه أنفسنا في الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فكانت جميع هذه البلاد غنية بمياهها ومزروعاتها وثرواتها الحيوانية ، ومع وجود التمدن الذي تعيشه هذه البلاد اليوم ، فقد أصاب الحياة الزراعية والحيوانية الكثير من التدهور ، وذلك لأن معظم السكان تخلو عن هذه المهن وعملوا في وظائف وأعمال أخرى توفر لهم معيشة أفضل وأسرع .

(٣) للمزيد انظر: أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ٢٠٩ ــ ٢٢٠ ، غيثان بن جريس ، القول المكتوب ، ج٥ ، ص ٣٩ .

(٤) لم يذكر تاريخ الطباعة والنشر ، ويقع الكتاب في حوالي (٢٠٣) صفحة .

والعُمري دون عن بلاد السروات وما جاء شرقها مثل رنية وبيشة وتربة، دون أن يراها أو يزورها، وإنما نقل مروياته عنها من الرواة وبعض المصادر المبكرة ، فقال: " هي ذات عيون دافقة ، ومياه جارية ، على قرى متصلة ، الواحدة إلى جانب الأخرى ، وليست الواحدة تعلق بالأخرى ، لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم [١]، لا يضمهم ملك ولا يجمعهم حكم سلطان ، ولا تخلو قرية منها من أشجار، وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها زروع أكثرهم الشعير ، ولأهلها ماشية أعوزها الزرائب وضاقت بها الحظائر"[٢] ، ويتحث عن بعض عادات هذه البلاد وأعرافها، فيقول: " وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها ، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من يمر بها ، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقه[٣] ... وأهل هذه البلاد لا يفارق أحد منهم قريته مسافراً إلى الأخرى إلا برفيق يسترفقه منها ليخفره ، وإلا فلا يأمن أولئك لعداوة بينهم وتفرق ذات بين"[٤] .

١٨- موريس تاميزيه (ق١٣هـ/ق١٩م) :

هذا المؤلف الفرنسي الجنسية ، رافق حملة محمد علي باشا على عسير عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) ، ودون رحلته في مجلدين ، طبعا في أوربا عام (١٨٤٠م)[٥] . ، والمجلد الثاني هو الذي يعنينا في هذا البحث، وعنوانه: رحلة في بلاد العرب . الحملة

---

(١) وهذا ما أشار إليه كل من ناصر خسرو ، ص ١٤٢. وابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج١، ص ٢٦، ٣٧.

(٢) العُمري ، مسالك الأبصار ، ص ١٦٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، والدارس لأحوال سكان رنية وتربة وعموم السروات خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة حتى بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن حياة الحروب والكر والفر كانت سائدة بينهم والناظر في وثائق العصر الحديث من القرن (١٠-١٣هـ/١٦-١٩م) يجدها مليئة بالأحداث السياسية ، والصراعات الحربية التي كانت منتشرة بين سكان القبائل في هذه الأوطان وغيرها من أجزاء الجزيرة العربية .

(٥) للمزيد : انظر: غيثان بن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزء الثالث ، ص ٣٤٢ .

المصرية على عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) [١] ، قام بترجمته إلى اللغة العربية الدكتور/ محمد بن عبد الله آل زلفة القحطاني ، وتقع النسخة العربية مع فهارسها ومقدماتها في (٣٥٨) صفحة ، وهذه النسخة التي اعتمدنا عليها ، ومادة الكتاب تذكر تفصيلات تاريخية، وحضارية عن البلاد الممتدة من الطائف إلى أبها عبر أوطان تربة ورنية وبيشة[٢] .

وفي حوالي (٩٠) صفحة يفصل الحديث عن أحوال الديار وأهلها من الطائف إلى بيشة، مروراً بأرض تربة ورنية، فيذكر وادي تربة، ويقول إن العرب يسمونه سيل تربة، ويوجد على أطراف ذلك الوادي النباتات والشجيرات المختلفة، ولم يسهب الحديث عن جغرافية الوادي وأحوال سكانه [٣]. ويذكر أن جيش محمد علي الذي كان يرافقه اتخذ من وادي تربة مقراً للاستراحة لبعض الوقت ، ويشير إلى تواجد بعض الرعاة والطيور في أرض تربة ، ولم يخبرنا بالأحوال المناخية في وادي تربة ، ولا الأعمال وطبيعة الجيش الذي نزل تربة أثناء مروره نحو بلاد عسير[٤] .

وعند وصول تاميزيه إلى رنية ، ذكر أنها من الأودية المشهورة ، ويضيف شروحات عن جغرافية وسكان وادي رنية ، فيقول عن الوادي أنه يبلغ طوله " ثلاثة أميال ، ويتراوح عرضه ما بين الميل والثلاثة أميال ، وكل هذه المساحة مغطاة بغابة حقيقية من أشجار التمر"[٥] ، وعن السكان يقول " يقوم سكان هذا الوادي من البدو بتربية الماشية والجمال والخيول التي لا تقدر بثمن، ويتمتع أهالي هذا الوادي بمكانة محترمة بين القبائل الأخرى ، ويقدر عدد سكانه بـ(٢٥٠٠) نسمة [٦] .

---

(١) طبع هذا الكتاب في الرياض : مطابع وإعلانات الشريف ، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ص ١٥ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) تاميزيه ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، يعد تاميزيه من الرحالين الغربيين الجيدين الذين تحدثوا عن البلاد الممتدة من الطائف إلى بيشة ، والرحالة فيلبي يعد أفضلهم .

(٥) تاميزيه ، ص ١٣٨ـ ١٣٩ .

(٦) تفصيلات تاميزيه واضحة ومفيدة إذا قارناه بمن سبقه من الرحالين والجغرافيين الأوائل ، أما قول أن عدد سكان رنية (٢٥٠٠) نسخة ، فقد لا تكون إحصائية دقيقة ، لأن كثير منهم بدو رحل ، فهم يذهبون إلى خارج حدود رنية بحثاً على الماء والكلأ . انظر تاميزيه ، ص ١٣٩ .

ويدون بعض اللمحات الاقتصادية لأهل رنية فيقول :" يقوم عرب رنية ببيع منتوجاتهم على قوافل الحجاج التي تأتي من بغداد [١] ، والتي تتوقف في قريتهم كل سنة. في تلك الفترة يقوم العرب بتحميل جمالهم بكل شيء يزيد على حاجتهم ، وينقلونه إلى رنية انتظاراً لقافلة الحج[٢] ، بينما يقوم الملاك الكبار من أهل رنية بمرافقة القافلة حتى تصل مكة ، وهناك يبيعون كل ما لديهم . أما تمور رنية فتصدر إلى جدة ، وعندما يكون الموسم على غير ما يجب ، يكتفي البدو بنقله مباشرة إلى القنفذة ، بينما يبيعون بعضه على القبائل الضاربة في الطريق بين رنية والقنفذة ، أما بعضهم فيكتفي بانتظار قافلة الحج كل سنة ، حيث يبيع منتوجاته مقايضة بما يحتاجه من تجار القافلة"[٣] .

ويذكر تاميزيه الزراعة في رنية فيقول " يقوم بدو رنية بزراعة الخضروات في بساتين مجاورة للقرية ، والمحصول الزراعي بشكل عام يتكون من القمح والذرة والبطيخ ، وفي الغالب تسقط أمطار كافية لري المزروعات ، ولكنهم في أوقات الجفاف يقومون بسقي مزارعهم معتمدين على السواقي مثلما يفعل أهل الطائف"[٤] .

ويتحدث هذا الرحالة الأوربي عن بعض الجوانب الاجتماعية في وادي رنية فيقول " يتكون وادي رنية من عدة قرى صغيرة ذات منازل متناثرة هنا وهناك ، ولكن أكبر مجمع سكني في الوادي هو قرية رنية نفسها حيث إنها محاطة بسور مبني من اللبن ، وله أربعة أبراج تستخدم لحماية القرية ضد أي معتد، ولا يوجد لتلك الأبراج أي أبواب ، ولها من الداخل شكل أسطواني به سلالم للصعود والنزول ، أما كيف يتم الدخول إلى البرج فإن له حبلاً مدلى من الخارج ، ويستخدمه المدافعون وسيلة

---

(١) هذا الرحالة أخطأ في قوله (بغداد) لأن حجاج بغداد لا يأتون عن طريق رنية ، وإنما حجاج وتجار اليمن هم الذين يرتادون ذا الطريق ، ورنية تقع على طريق البخور الذي يخرج من اليمن إلى الحجاز .

(٢) كانت رنية وتربة وبيشة محطات رئيسة على طريق اليمن الحجاز ، وبالتالي فالقبائل القريبة من هذه المحطات تتعامل مع التجار الذاهبين الآيبين في هذه الطريق التجارية الرئيسة .

(٣) تاميزيه ، رحلة في بلاد العرب ، ص ١٣٩ . ومعظم تجارات سكان رنية وتربة التمور والحبوب والخضروات والفواكه والمواشي والجمال وغيرها .

(٤) تاميزيه ، ص ١٤٢ .

للصعود إلى البرج . وفي وقت السلم يترك الحبل مدلى من الخارج على ارتفاع قامة الرجل ، أما في وقت الحرب فإن الحبل يدلى إلى الداخل ويستخدم في تزويد المدافعين بالمؤن"[١] . ويواصل حديثه عن بعض عادات السكان وأعرافهم فيقول: " عندما دخلت القرية لم أر فيها إلا النساء والأطفال ... ويبدو أن كبار السن يسكنون قسماً خاصاً في القرية ، وقد تمكنت من رؤية عدة نساء طاعنات في السن جالسات في الشمس أمام أبواب منازلهن مسترخيات على فرش مصنوعة من جلود الأغنام ، والبيوت مبنية من اللبن ومسقوفة بأخشاب من جذوع النخل ، وتستخدم مفاتيح مصنوعة من الحديد لفتح الأبواب الخارجية للمنازل.. [٢] . وتضع النساء في أنوفهن حلية تشبه النجمة ، وأخرى مثبتة في الشعر ومدلاة على الجبهة، ومثلها الملصقة بالأذن [٣] ، وتبدو ملامح عرب رنية أكثر نقاءً من ملامح عرب القبائل البدوية الأخرى التي شاهدتها منذ مغادرتي المدينة وجدة .فالنساء جميلات ذوات بياض كبياض الأوربيات ، ويبدو أن الرجال هنا يحكمون السيطرة عليهن تماماً ، لأننا كل مرة نرغب أن نتبادل البضائع معهن ، بعد الحصول على أسعار أفضل، فلا يقدرون على اتخاذ القرار بأنفسهن ، إذا لابد من موافقة أزواجهن على السعر المناسب [٤] .

ويشير تاميزيه إلى أن بعض البدويات من رنية كن يقتربن من مخيمات الجيش الذي يرافقه ، ثم يذكر بعض أوصافهن ، فيقول " تحدثن إلينا بطلاقة ، وملابسهن متناسقة ومميزة، وتدل على حسن أذواقهن ، والاعتقاد السائد في الحجاز أنهن نساء مجدات في أعمالهن ، ويسرحن شعورهن بطريقة أنيقة مع ترك ضفيرة متدلية على الجبين "[٥]. ويشير إلى شجاعة سكان رنية وجلدهم ، فهم يدافعون عن أموالهم وعقاراتهم ، ولا يرحبون

---

(١) انظر تاميزيه ، ص ١٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٠ــ ١٤١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

بالغريب أو الأجنبي الذي يدخل بلادهم"[١] . كما أشار أيضاً إلى شجاعة نساء أهل رنية ، وذكر أنهن يشتركن في الدفاع عن بلادهن ضد أي عدو أو غازي يغزو أرضهن[٢] .

١٩- الشريف البركاتي (ق ١٤هـ/ق٢٠م) :

هو شرف بن عبد المحسن البركاتي ، عاش في الحجاز، وعاصر الشريف حسين بن علي (أمير مكة)، وخدم في حكومة الملك عبد العزيز آل سعود ، ومات عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) . دون رحلته الموسومة بـ : الرحلة اليمانية ، وتلك الرحلة عندما سار مع الشريف حسين بن علي(أمير مكة) من الحجاز إلى عسير عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) ، وذلك من أجل ، فك حصار الإدريسي عن مدينة أبها[٣]. ذهب الشريف حسين مع جيشه عبر الساحل ، ورجع عن طريق بلاد شهران وبيشة ورنية وتربة والطائف[٤] .

رحلة الشريف البركاتي (الرحلة اليمانية) طبعت عدة مرات ، والنسخة التي اعتمدنا عليها هي بتحقيق عبد الله بن عبد الرحمن إلياس[٥] . طبعت في بيروت ، دار نشر تراث العرب عام (١٣٨٤هـ) ، وتقع في (٢٢٨) صفحة [٦] . تحدث فيها عن بلاد رنية وتربة ، وهو في طريقه عائداً إلى الطائف ، وذكر أنه في (١٣٢٩/٨/١٥هـ) وصل إلى

---

(١) هذه العادات ، عدم الترحيب بالأجنبي أو الغريب سائدة في بلاد الجزيرة العربية ، وقد شاهدنا ذلك في أرض السروات خلال العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٢) نساء أهل تربة ورنية وبيشة وغيرها يملن إلى حياة البادية التي تعلمن منها الجد والاجتهاد والشجاعة .

(٣) للمزيد عن تاريخ الإدريسي في جازان ومحاصرته مدينة أبها ، انظر: محمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض: منشورات دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ، ج٢ ، ص ٦١٩ــ ٦٢١ ، ٦٦٥ــ ٧٠٦ .

(٤) انظر ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣ ، ٣٤٦ــ ٣٤٧ .

(٥) للمزيد عن عبد الله بن إلياس ، انظر غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، الجزءان الأول والثاني ، ص ٢١ ــ ٥٤ .

(٦) البركاتي ، الرحلة اليمانية ، ص ١٢ وما بعدها .

أعالي وادي رنية ، وقال إن أول الوادي لقبائل غامد ، وأسفله لقبائل سبيع، ثم أشار إلى أن في " الوادي ما ينوف على مائة ألف نخلة [١] ، وقراه مبنية باللبن من طبقة إلى طبقتين، وفيها أسواق دائمة "[٢] .

ويواصل هذا الرحالة وصفه للطريق ، وهو خارج من رنية إلى وادى كرى في أرض تربة ، فيقول " ووادي كرى يصب ماؤه في أسفل تربة . وهذه الحرة في غاية الصعوبة ، وقد سرنا في ظهرها يومين ، ونحن مجدون في السير حتى قطعناها ، فلما وصلنا إلى قرى ووادي تربة تركها دولة الأمير، وأمر الجيش بالنزول في أعلى الوادي على نهر كبير جار يصب في أسفل الوادي[٣] . ومنه تشرب نخيل قرى قبيلة البقوم والأشراف العبادلة ، وعدد النخيل بهذه القرى أكثر من مائتي ألف نخلة[٤]، وفيها البساتين محتوية على الموز، والليمون والنارنج ، والعنب وبعض الفواكه ، ويزرع فيها البر، والذرة ، والشعير ، وكافة أنواع الخضار ، ومنظر هذا الوادي من أحسن المناظر ، وبه كثير من شجر الأثل ، والطرفاء ، والحمض، والحلفا"[٥] .

٢٠ - فؤاد حمزة (ق١٤هـ/ق٢٠م) :

فؤاد حمزة من رجال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل[٦] ، قام بالعديد من المهمات الداخلية والخارجية ، ومنها رئاسته للوفد السعودي الذي التقى بالوفد اليمني من

---

(١) هذا العدد ربما مبالغ فيه ، نعم وادي رنية به مزارع نخل عديدة ، لكن قد لا يكون فيه هذا العدد الكبير .

(٢) البركاتي ، الرحلة ، ١٤٣ .

(٣) البركاتي ، الرحلة ، ص ١٤٤ .

(٤) أيضاً عدد مبالغ فيه ، مع أن تربة أرض نخل وزراعة .

(٥) انظر: البركاتي ، الرحلة ، ص ١٤٤ ، ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣، ص ٣٤٦. ج٥، ص ٥٥.

(٦) فؤاد حمزة لبناني الجنسية ، عمل مع الملك عبد العزيز آل سعود جزء كبير من حياته ، ومات في لبنان عام (١٣٧١هـ /١٩٥١م) . للمزيد انظر: خير الدين الزركلي ، الأعلام (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م) ، ج٥، ص١٥٩.

أجل رسم الحدود السعودية اليمنية عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) [١] . وعند ذهابه إلى أبها خرج من الطائف إلى تربة ورنية ثم بيشة حتى أبها ، وسجل في ذلك كتابه الموسوم بـ : في بلاد عسير ، وهو الكتاب الذي استفدنا منه [٢] .

تحدث ابن حمزة في ثلاثة فصول (الثالث ، والرابع ، والخامس) عن بلاد رنية والخرمة وتربة. فالفصل الثالث عنوانه : دار البقوم وسبيع . والفصل الرابع : تربة والخرمة . والفصل الخامس: وادي رنية ، ويشرح الطريق إلى الخرمة ، ويذكر وادي القطان ، وهو الحد الفاصل بين ديار البقوم ، وأوطان سبيع[٣]. ويتحدث عن قبيلة البقوم ومركزهم تربة ، ويذكر أنهم كانوا في حروب دائمة مع سبيع ، وبعد دخولهم تحت حكم ابن سعود أصبحوا شعباً واحداً، وقبائل السبعان لهم إمارة معلومة في بلدة الخرمة[٤]، ويذكر واديي تربة ورنية ، وسكانهما من قبائل البقوم وسبيع، ولقبيلة سبيع حاضرتان هما: الخرمة ورنية ، وأمرائها من أسر الأشراف ، فالخرمة يتولى إمارتها من أسرة آل لؤي الأشراف ، ورنية من أسرة الأشراف العبادل ويعرفون بآل الصامل[٥] .

وفي حوالي (١٢) صفحة يذكر بعض التفصيلات عن معارك تربة التي وقعت بين الأشراف والملك عبد العزيز ، وكيف كانت الغلبة لابن سعود الذي استطاع ضم الحجاز إلى مملكته، وكانت تربة وما جاورها من البلدان قد دخلت تحت حوزته في بدايات العقد الخامس من القرن (١٤هـ/ ٢٠م) [٦] .

---

(١) انظر: ابن جريس ، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣، ص ٣٥٢ .

(٢) هذا الكتاب طبع في الرياض ، مكتبة النصر الحديثة (١٣٧٠هـ/١٩٥١م) ، وتمت إعادة طبعه عام (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٣) فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص ٢٦ــ ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧ــ ٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨ــ ٢٩ .

(٦) فؤاد حمزة ، ص ٤٣ــ ٤٦. وهناك عشرات الكتب والرسائل العلمية فصلت الحديث عن معركة تربة بين الأشراف وابن سعود ، كما أن هناك مئات الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي تحدثت عن تلك الصراعات السياسية والحربية بين الطرفين .

ويكتب عن رنية فيقول " تقع رنية ، أو بالأحرى البلدة الكبيرة في رنية على أطراف الوادي المعروف باسمها ، والذي ينحدر من جهة الغرب والجنوب متجهاً إلى الشمال الشرقي ، وتحيط الجبال بالبلدة من جميع جهاتها " [١] .ويضيف موقع قصر أمير رنية الشريف بن صامل فيقول: " وقصر ابن صامل بني على ربوة مشرفة على الوادي ، والسهل المحيط به في منطقة متوسطة بين أسفل الوادي وعلوه، وتسمى البلدة التي فيها القصر (الحزم) ، وبقربها بلدة (الروقة) التي هي السوق"[٢] .

وفي عنوان رئيس يذكر (وادي رنية) ، ويقترح أن يكون وادي رنية اسمه وادي سبيع ، لأن معظم القاطنين على جنباته من السبعان ، بعكس وادي سبيع الذي يخرج من أرض البقوم ، ونصفه الأخير يسير في بلاد سبيع ، ولذلك فقد سمي (وادي سبيع) [٣] . أما وادي رنية فيأتي من أعالي بلاد غامد ويتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي[٤]. ويذكر بعض الملامح الحضارية التي رآها في وادي رنية ، فيقول: "وتقوم على أطراف الوادي المزارع والحدائق والنخيل والقصور والقرى إلى مسافات بعيدة ، ولكن أكثر العمران فيه يبدأ من حين دخوله في بلاد سبيع ، والقرى الواقعة على الوادي متقاربة متصلة ، يري الإنسان إحداها من الأخرى[٥] ، إلا أن أعظمها وأهمها ما كان واقعاً عند منتصفه حيث يأخذ الشعيب أقصى اتساعه ، وتكون الأراضي الواقعة على أطرافه أخصب وأصلح للزراعة والفلاحة"[٦] .

ويذكر بعض الصور الاجتماعية الأخرى في رنية فيقول : " مما يؤسف له أن حالة هذه البلاد الاجتماعية كحالة سائر البلدان المنعزلة عن العمران ، لا تفكر في غير معيشتها

---

(١) فؤاد حمزة ، ص ٤٦ــ ٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٥) السائح في أرض السروات وفي البلاد الممتدة من خميس مشيط إلى بيشة إلى رنية يشاهد القرى متقاربة ، بل أحياناً متصلة بعضها ببعض .

(٦) فؤاد حمزة ، ص ٤٨ .

المادية اليومية ، وليست لها آمال أو أماني بعيدة ، يستغلون الأرض بعد حرثها ، ويزرعون النخيل ، وينتظرون لقاء الله في الآخرة، ومن هنا نشأ عدم اهتمامهم بالتغيير والتجديد"[١]. ورأى هذا الرحالة أن العزلة سببت لهم انقطاع عن عالمهم ، وتلك حالة عموم أهل السراة وتهامة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة حتى النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م) . والذي جعلهم في هذا الوضع الاجتماعي المنعزل هو انزواء بلادهم ، وصعوبة مسالكها ، وربما رنية وتربة كانت أحسن حالاً من بلدان أخرى في أرض السروات الممتدة من الطائف حتى بلاد قحطان ، ونجران ، وقول فؤاد حمزة " وينتظرون لقاء الله في الآخرة " ، فذلك ديدنهم لصلاح نياتهم ، وصفاء قلوبهم ، وسلامة معتقداتهم [٢] . ويتعرض للحديث عن حالة بعض نساء رنية فيقول : " ونساء هذه البلاد في معايشهن مثل نساء بلاد الطائف ، وإن كن إلى البداوة أقرب ، ويشعر المسافر الفرق بين أحوال النساء في هذه الجهة ، وبينها في عسير بمجرد وصوله إلى أرض خيبر"[٣] .

٢١ - هاري سانت جون فلبي(ق١٤هـ/ق٢٠م):

هاري فلبي أو (الحاج عبد الله فلبي) [٤] ، قدم إلى الجزيرة العربية في منتصف العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري (٢٠م) ، وعاش فيها حوالي (٤٠) عاماً[٥] ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠.

(٢) سكان البلاد الممتدة من جازان وقحطان ونجران جنوباً إلى مكة والطائف شمالاً كانوا ولا زالوا عبر أطوار التاريخ الإسلامي أصحاب عقائد سليمة ، فلم تصل إليهم أهواء وآراء الفرق المنحرفة التي قرأنا عنها في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي وبخاصة منذ فجر الإسلام حتى القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٠ . وخيبر من أرض عسير ومن بلاد شهران تحديداً ، وهي تقع بين بيشة وخميس مشيط . وإذا ما قارنا بين نساء رنية أو تربة ونساء عسير ، فالعسيريات أكثر تحضراً ، ربما لقربهن من بعض المراكز الحضارية الرئيسة مثل أبها وغيرها. أما نساء رنية وتربة والخرمة وبعض البوادي والأرياف في عسير أو عموم بلاد السروات وتهامة ، فحياتهن حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) تميل إلى حياة البادية ، وذلك أمر طبيعي لضعف الأوضاع الحضارية والتمدن في بلادهم .

(٤) عرف فلبي عند آبائنا وأجدادنا باسم (عبدالله فلبي) ويبدو أنه أسلم ، وحج ، فسمي (الحاج عبد الله فلبي) ، ثم أنه لبس ملابس سكان الجزيرة العربية ، فأصبحوا لا يدعونه إلا (عبدالله فلبي) أو (الحاج فلبي) . هذا ما سمعه الباحث من رواة عديدون في بلدان تهامة والسراة خلال الثلاثين عاماً الماضية .

(٥) للمزيد عن حياة فلبي انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣، ص ٣٤٨ وما بعدها .

كتب عشرات الكتب ، وتُرجم بعضها إلى اللغة العربية [١] ، والكتاب الذي يخصنا هو : مرتفعات الجزيرة العربية الذي طبع باللغة الإنجليزية عام (١٩٧٦م) في (٧٧١) صفحة ، وقامت مكتبة العبيكان بترجمته في مجلدين ، وفي حوالي (١٤٥٠) صفحة ، وكاتب هذه السطور راجعه وقدم له[٢] .

ناقش كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية البلاد الممتدة من الطائف إلى عسير ونجران وجازان، وأجزاء من بلاد اليمن ، دون أن يتعرض لأرض السروات الممتدة من شمال مدينة أبها إلى الطائف[٣]. عاد فلبي من الربع الخالي إلى السليل ثم بيشة حتى قابل الملك عبد العزيز في الحجاز[٤]، وفي أثناء سيره من بيشة إلى الطائف مر على بلاد رنية وتربة وأوجز الحديث عن جغرافيتها ، وحيواناتها وطيورها ونباتاتها ، كما ذكر وفرة مزارعها ، ومحدودية منازلها التي تتراوح بين طابق وطابقين ، وفي أرض تربة أشار إلى معركة تربة التي وقعت بين جيوش الملك عبدالعزيز آل سعود والأشراف في الحجاز ، وذكر بعض المعالم الجغرافية التي رآها في أرض المعارك التي دارت بين الطرفين[٥] .

بعد مقابلة فلبي للملك عبد العزيز ، وتبادل الحديث معه حول رحلته التي يزمع القيام بها إلى جنوب البلاد ، عندئذ خرج في هذه الرحلة ، وفي حوالي (٣٨) صفحة ، أشار إلى كل من الخرمة ورنية ، (١٦) صفحة عن بلاد الخرمة و (٢٢) صفحة عن رنية ، وكان جل حديثه يدور حول الوصف الجغرافي لهذه البلاد ، وما يوجد بها من جبال ، وهضاب وبعض الأودية أو الكائنات الحية الأخرى ، كالطيور والحشرات وأحياناً

---

(١) هناك عدد من كتبه ترجمت من الإنجليزية إلى العربية ، ومكتبة العبيكان في الرياض مشكورة ترجمت أكثر من (١٢) كتاباً من مؤلفاته التي زادت عن الأربعين كتاباً .

(٢) انظر : ترجمة ونشر مكتبة العبيكان بالرياض (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (مجلدان) .

(٣) القارئ للكتاب يرى أن هذا الرحالة خرج من الربع الخالي إلى السليل ثم اتجه نحو الحجاز لمقابلة الملك عبد العزيز، وذلك في منتصف العقد السادس من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، أي عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

(٤) قابل الملك عبد العزيز من أجل أخذ بعض التعليمات منه والذهاب في رحلة أخرى إلى جنوبي البلاد السعودية ، من أجل الوقوف على رسم الحدود بين البلدين (اليمن والسعودية) .

(٥) فلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية (طبعة مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ج١، ص ٩٦ وما بعدها .

الزواحف[١] . وذكر أسماء أميري الخرمة ورنية ، فالأول كان الشريف سعد بن خالد بن لؤي ، وأمير رنية هو من نجد ويدعى حسن الدغيثر[٢]. وذكر بعض الأطعمة التي شاهدها في هاتين الناحيتين مثل: التمور ، واللحوم ، والألبان ، والأرز ، وبعض من هذه الأطعمة تناولها في منزل أمير رنية حسن الدعيثر[٣] .

والقارئ لدراسات فلبي وكتبه ، يجدها تتميز بالدقة والإسهاب في ذكر التفاصيل ، لكن عندما نقف على ما كتبه عن الخرمة ورنية وتربة ، نجده لا يفي بالغرض ، فليس هناك تفصيلات عن حياة الناس الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والثقافية ، وذلك مستغرب من فلبي[٤] ، ولا ندري هل حياة الناس البدوية في هذه النواحي جعلته لا يلتفت للحديث عن هذه الجوانب المهمة ؟ ، أم هو الاستعجال والسير في مناكب هذه الأراضي دون أن يصور لنا حياتهم الحضارية المتعددة الجوانب . ومن ينظر إلى مدوناته في بيشة أو خميس مشيط أو أبها أو بعض النواحي في نجران وجازان ، فإنه يجد كثيراً من المعلومات الجيدة والمتنوعة، أما في أراضي الوديان (تربة ، ورنية ، والخرمة)[٥] ، فإشاراته محدودة ، ومعظم ما ذكره عن التضاريس وبعض الأوضاع الجغرافية[٦] .

٢٢- محمد عمر رفيع (ق١٤هـ/٢٠م) :

محمد رفيع من بلاد الحجاز ، ومن مكة المكرمة تحديداً ، قدم إلى عسير في بعثة تربوية تعليمية عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) ، وعين مديراً لمدرسة رجال ألمع في الشعبين

---

(١) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص ١٨٧، ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٩١ .

(٤) كتب فلبي من أغنى المصادر في معلوماتها ، وهذا ما عرفنا عنه في معظم مؤلفاته التي وصلتنا وكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية يعد من أجودها .

(٥) يطلق على بلاد (الخرمة ، وتربة، ورنية) اسم بلاد الوديان ، أو الوديان ، وذلك نسبة إلى أوديتها الكبيرة والعامرة بسكانها.

(٦) انظر: فلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١، ص ١٨٤وما بعدها .

وألف كتاب عنوانه : في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ)[١] ، ويشتمل هذا الكتاب كما جاء في العنوان ، على تاريخ مجموع من بعض المصادر والمراجع ، وذكريات ومشاهدات ابن رفيع[٢] .

خرج محمد رفيع من الحجاز عبر بلاد تربة ورنية وبيشة ، وذكر بعضاً مما شاهده في هذه الأوطان، فذكر أنه التقى بأمير تربة [٣] ، وشاهد كثرة النخيل في هذه الناحية [٤] ، التي كانت تسقى من الآبار، أو ما يسيل من وادي تربة أثناء سقوط الأمطار[٥] . وفي مكانين يشير محمد رفيع إلى سوق تربة، وإلى صورة من البناء والعمارة[٦] ، فقال عن السوق" ولتربة سوق دائمة وافية برغائب أهلها ، وما يحتاجه سكان البادية التي حولها ، والسوق عبارة عن بضع عشر دكاكين تحيط برحبة فسيحة ، يعرض فيها ما يباع بالمزايدة من مواش وغيرها من العروض الأخرى . وفي جانب من السوق مدخل خاص يجلس فيه باعة اللحوم ، وطريقتهم في بيعها ، هو أن يقطع الخروف أو التيس أجزاء أقلها نصف الثمن"[٧] . ويقول عن البناء والعمارة : " وبيوتها من اللبن ، لا يعدو معظمها الطابقين ، ولا مراحيض بها بتاتاً ، وهي متقاربة البناء ، وأزقتها ضيقة كثيرة الالتواء والتعاريج ، وسكان القرية ــ يقصد تربة ــ لا يتجاوزون الألفين على أكثر تقدير معظمهم من قبيلة البقوم" [٨] .

---

(١) طبع هذا الكتاب في مكتبة المعارف بالطائف (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

(٢) هذا الكتاب الذي تم استخدامه في هذا البحث .

(٣) ويدعى هذا الأمير (رشيد الحمود العبيلان) ، الذي قال لمحمد رفيع أن عدد النخل في تربة حوالي (٥٠،٠٠٠) نخلة . انظر: كتاب رفيع ، ص ٨ .

(٤) يقول محمد رفيع ، نقلاً عن رحلة البركاتي ، أنه يوجد في وادي وقرى تربة أكثر من (١٠٠،٠٠٠) نخلة ، وهذا العدد يبدو أنه مبالغ فيه .

(٥) محمد رفيع ، في ربوع عسير ، ص ٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه .

وفي أربع صفحات أخرى يتحدث عن الصراع بين جيش ابن سعود والأشراف في تربة ، ويذكر أن فؤاد حمزة فصل الحديث في هذا الجانب ، وفي عنوان جانبي سماه (إلى وادي رنية) أشار إلى بعض الأشجار في هذا الوادي ، ويذكر في الحاشية ما قاله البركاتي وفؤاد حمزة عن منبع الوادي من سروات غامد، وأن فروع من قبيلة سبيع يستوطنون هذا الوادي في رنية وما حولها[١] .

٢٣- فيليب ليبنز (ق١٤هـ/٢٠م) :

فيليب ليبتز رحالة أوربي بلجيكي ، قدم إلى الجزيرة العربية في بداية العقد الثامن من القرن (١٤هـ /٢٠م) ، وسار في رحلة مع فلبي إلى وسط وجنوب غرب الجزيرة العربية عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ألف كتاب في هذه الرحلة سماه : رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية ، نشره باللغة الفرنسية ، ثم تولت دارة الملك عبد العزيز ترجمته وطباعته ونشره عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، وهذه النسخة التي اعتمدنا عليها[٢] .

خرج فيليب ليبتز وفلبي وبعض رفاقهما من الطائف نحو بيشة وعسير، وعند وصولهم إلى بلاد البقوم ، أو تربة ، ذكر ليبتز أنه سمع ورأى بعض الكلاب تنبح ، وأن تربة واحة على مساحة (١٥٠) هكتار، كلها مشجرة بالنخيل ، وفيها قصر الأمير المحلي المبني بالطوب ، وبيوت أخرى من الطوب الأصفر[٣] . وأشار ـ كغيره ـ إلى بعض الأخبار المنقولة عن معركة تربة بين الأشراف وابن سعود ، ويذكر أن أمير تربة ضيفهم

---

(١) المصدر نفسه . بلاد رنية وتربة والخرمة لازالت من البلدان التي لم تخدم بحثياً ، وتستحق أن يفرد لها دراسات عديدة عبر أطوار التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث، ونأمل أن نرى من المؤرخين والباحثين في جامعات بيشة والطائف وأم القرى من يصدر عنها دراسة تاريخية وحضارية وآثارية علمية موثقة .

(٢) الكتاب مطبوع ومنشور في دارة الملك عبد العزيز بالرياض عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ، كما نشرنا دراسة عن فيليب ليبتز وفلبي في مداولات اللقاء العلمي الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ص ٥٢٣ وما بعدها. ونشر هذا البحث في كتابنا : صفحات من تاريخ عسير ، ج٢، ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٣) انظر: فيليب ليبتز ، رجلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية ، ص ٣٧ .

على طعام يتكون من اللحم والأرز وغيره ، وهذا الأمير ـــ الذي لم يذكر اسمه ـــ نوه عن التعليم في هذه الواحة فقال : " إن المدرسة المحلية ليست باهظة التكاليف ، كل طفل يكلف حوالي (٢٥) فرنكاً بلجيكياً"[١] ، ثم قال : " وفي بعض الجهات تدفع للآبـــاء نقوداً لتشجيعهم على الذهاب بأبنائهم إلى المدرسة " [٢] .

وفي الطريق من تربة إلى رنية لا يفصل ليبتر الحديث عما شاهده ، وإنما يشير إلى بعض الرسومات والنقوش الصخرية التي رآها على بعض الجبال والصخور على جـــانبي الطريق ، كما ذكر وجود بعض الحيوانات الأليفة كالجمال والأحصنة والمواشي ، ويؤكد على صعوبة الطريق ، ومعاناة سير السيارات في هذه المسالك ، ثم يقول عن رنية " ها نحن نمر قرب أرض بدو غامد ، وقريباً ستصل سيارتنا إلى أهم وأوســـع واد يعـــرف باســـم (رنية) [٣] ، ولم يفصل الحديث عما شاهده في واحة رنية ، وإنما أوجز الشرح في وصف طبيعة الطريق من رنية إلى بيشة[٤] .

٢٤ - عاتق بن غيث البلادي (ق١٤ـ ١٥هـ/ق٢٠م):

هذا الجغرافي الرحالة تجول في أرجاء عديدة من الجزيرة العربية ، وكتب مؤلفات في الجغرافيا والرحلات والأنساب والتاريخ [٥] ، له كتاب سماه : بين مكة وحضرموت (

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨ . واجه الأوائل صعوبات كثيرة في تعليم أنفسهم وأبنائهم ، وذلك لقلة ذات اليد ، وصعوبة الحياة ، واليوم ، والحمد لله ، انتشر التعليم في كل صقع من أصقاع البلاد السعودية ، وهذا بفضل من الله عز وجل ، ثم جهود هذه الدولة المباركة في نشر المعرفة بين الناس .

(٣) لينبز ، ص ٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤١ــ ٤٧ . فلبي وليبتر من الرحالة الأوربيين الجيدين في رصد مشاهداتهم ، ولكن فيما يتعلق بحديثهما عن رنية وتربة ، فقد أوجزا كثيراً ، ولم يدونا لنا معلومات تفصيلية عن هذه المحطات الحضارية

(٥) طبع ونشر عدد من المؤلفات الخاصة ببلاد الحجاز ، جغرافيتها ، أنسابها ، وتاريخها ، ويعد من الرواد في بعض مؤلفاته التي أصدرها مثل :معجمه الجغرافي عن الحجاز ، ودراسته عن قبيلة حرب وغيرها. للمزيد انظر مؤلفاته المطبوعة والمنشورة.

رحلات ومشاهدات)[١] ، وهو عبارة عن رحلة ذهب فيها من الحجاز إلى نجران عبر بلاد السروات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، تطرق فيه إلى بلاد تربة ورنية[٢] .

أشار البلادي في حديثه إلى قبيلة البقوم ، التي تسكن وادي تربة ، وتمتد أرضها شرقاً وشمالاً وتحيط بها قبائل عتيبة من الشمال ، وبلحارث وعتيبة من الغرب ، وسبيع من الشرق والشمال الشرقي، وغامد من الجنوب[٣] . ويذكر أن البقوم ينقسمون إلى فرعين رئيسين هما : المحاميد ، ووازع ، وهذان الفرعان ينقسمان إلى فروع أخرى عديدة[٤] ، ومياه وادي تربة تأتي من سروات بجيلة بني مالك وما جاورهما من البلاد[٥] . ويضيف تفصيلات جيدة عن طبيعة وادي تربة فيقول إنه : " من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي ، ويسمى أعلاه تربة ، ويميز باسم (تربة البقوم) ، وفي هذا القسم قاعدة البقوم ، وهي بلدة عامرة تسمى بنفس اسم الوادي ، ثم يتجه شمالاً شرقاً فيسمى الغريف[٦] ، وهو من بلاد سبيع ، ثم ينحدر إلى بلدة الخرمة : قاعدة قسم كبير من قبيلة سبيع، وهي بلدة متقدمة تقع شرق الطائف مع ميل إلى الشمال على قرابة مائتي كيل .. ثم يعطف الوادي إلى الشرق فيقع في سهل كثير الرمال ... ثم يصطدم بعرق سبيع[٧] ، وهو رمل كالجبال المتفاوتة ، وهو ما كان يعرف برمل بني عبد الله ، بطن من عامر بن صعصعة ، وهنا تضيع مياه وادي تربة ، بعد أن يسمى وادي الخرمة ، في قاع واسع يسمى (الفرشة) ، تختلط فيه مياه : الخرمة ، ورنية ، وبيشة ، وهي تعرف باسم (الوديان الثلاثة) ، وهي كثيرة النخل الجيد تمرة"[٨] .

---

(١) هذا الكتاب من مطبوعات دار مكة للنشر والتوزيع في مكة المكرمة عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ١١ ، ٣٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ .

(٦) ورد اسم هذا المكان في بعض الخرائط باسم (الغريث) ، والصحيح ما ذكره البلادي في مدوناته .

(٧) لوادي تربة روافد عديدة من أرض السروات مثل: وادي العقيق ، ووادي بواء ، ووادي عردة .

(٨) انظر: البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ١٧٠ـ ١٧١ . وأقول إن بلاد رنية والخرمة وتربة من البلاد التي طواها النسيان عند الباحثين والمؤرخين ، وتستحق من يدرسها (دراسات علمية أكاديمية ، ونأمل من أهلها وبخاصة الباحثين والأكاديميين أن يلتفتوا إلى بحثها في شتى الجوانب .

ويتحدث البلادي عن وادي رنية ، ويذكر أن بعض المتقدمين ذكروه بالراء (رنية)، وآخرون بالزاي ثم الباء (زبية) ، والصحيح (رَنْية) بفتح الراء وسكون النون[١] ، ثم قال: " وكثيراً ما يطلق عليه اسم وادي سبيع، ذلك لأن كثيراً من بطون سبيع تقيم في هذا الوادي وعلى جنباته ، ويسيل هذا الوادي من سراة غامد على قرابة (٢٣٠) كيلاً جنوب الطائف ، ثم ينحدر شمالاً شرقياً ، وأعلاه لغامد، ثم يسمى الأملح ، لآل عمير من سبيع، ثم يسمى رنية مرة ثانية ، وفيه الروضة ، بلدة هي قاعدة إمارة سبيع في هذه الناحية ، وتقع الروضة شرق بلدة تربة البقوم على خط مستقيم ، وتقع تربة البقوم شرق الطائف ، وعلى قرابة (١٥٠) كيلاً رأسياً[٢] . وإذا تجاوز وادي رنية بلدة الروضة عدل إلى الشرق فاختلط مع مياه الخرمة وبيشة في الفرشة... "[٣] .

ويشير هذا إلى الطريق الذي يخرج من حضرموت إلى بيشة ، ثم يفترق إلى فرعين: الأول، يخرج من بيشة إلى رنية ثم يأتي إلى الخرمة من الشرق . والثاني يسير من بيشة غرباً إلى حرة البقوم ، ثم يهبط إلى وادي كرا ، ثم إلى تربة ، ثم إلى الطائف[٤] . ويذكر أيضاً طريق صنعاء الطائف الذي يصل إلى بيشة ثم يسير في الطريق الثاني الآنف ذكره [٥] .

٢٥- عبد الرحمن صادق الشريف (ق١٤- ١٥هـ/ق ٢٠م) :

عبد الرحمن الشريف، فلسطيني الجنسية ، عمل أستاذاً أكاديمياً في قسم الجغرافيا، كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، وله العديد من الكتب والبحوث العلمية ، منها مؤلفه :

---

(١) البلادي ، ص ١٧١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٧١ ــ ١٧٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ــ ١٨٨ . ونجد أن المصادر الإسلامية المبكرة ذكرت طريق البخور الذي يخرج من صنعاء إلى الحجاز ، وهذه أشهر الطرق قديماً ، لأنه يسلكها التجار والحجاج ورجال الدولة وغيرهم ، ومن المؤكد أن هناك طرقاً أخرى عديدة تربط بين أعالي السروات ومنحدراتها وسهولها الشرقية ، إلا أن المصادر الأول لم تشر إلى ذلك ، وربما صعوبة الأرض وعزلة أهلها هي من الأسباب الرئيسة التي جعلت أرباب القلم يتجنبون الدخول إلى تلك البلدان الوعرة والمعزولة .

جغرافية المملكة العربية السعودية ، في جزأين [١] . الجزء الأول عن جغرافية المملكة العربية السعودية بشكل عام [٢] ، والجزء الثاني خاص بإقليم جنوب غرب المملكة العربية السعودية ، تحدث فيه عن جغرافية وحضارة مناطق الجنوب ، وفي هذا الجزء ، وفي حوالي عشر صفحات كتب عن بلاد رنية وتربة والخرمة[٣] .

في عنوان جانبي سماه (قضاء رنية) تكلم عن طبيعة وادي رنية ، وعن اتجاهاته حتى يصل بلاد الخرمة ، وذكر أن معظم سكان هذا الوادي من قبائل سبيع ، كما ذكر بعض روافده ومنسوب المياه فيه أثناء سقوط الأمطار وبعدها[٤] . ويشير إلى بلدة رنية في وادي رنية ، فيقول : " ومن أهم وأقدم واحات الوادي ، واحة رنية المزدهرة ببساتين النخيل ، وقد اكتسبت هذه الواحة أهمية خاصة ، بالإضافة إلى طاقتها الزراعية نظراً لوقوعها في منبسط يلي الجبال والحرات ، فاتخذت محطة لطرق القوافل القديمة ، لاسيما تلك التي تربط الهضبة الداخلية بمواقع الجبال العالية ، ومن الطرق المشهورة التي تمر منها طريق الطائف ــ الخرمة ــ رنية ــ بيشة ، ومنها إلى المناطق الجبلية في الباحة أو عسير، ولذلك قيل في الأدب القديم إن " رنية من الأعراض الهامة "[٥] .

ويشير إلى بلاد رنية وكيف كانت أرض بادية ، وغالبية أهلها يعتمدون على الرعي والزراعة وأحياناً التجارة ، لكن منذ نهاية القرن الهجري الماضي وبدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) بدأت التنمية تصل إلى أرضها ، فأنشئت فيها المؤسسات الحكومية،

---

(١) الجزءان من مطبوعات دار المريخ في الرياض، الأول عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ،والجزء الثاني عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(٢) المرجع نفسه ، ج١ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٤٦٠ ــ ٤٧٠ .

(٤) عبد الرحمن الشريف ، ج٢ ، ص ٤٦٠ــ ٤٦١ . لقد ذكر مساقط الوادي من أرض السروات ، ثم سيره في بعض الحرار حتى يصل بلاد الخرمة وما حولها من الصحاري .

(٥) الشريف ، ج٢، ص ٤٦١ .

والمدارس ، وشقت الطرق المعبدة ، ومن ثم صارت تسير نحو النمو والتمدن [١] . ويصف بعض أوضاعها الاقتصادية قديماً وحديثاً ، فيقول : " يعتمد سكان القرى في وادي رنية على زراعة النخيل والحبوب بالدرجة الأولى ، ويعتمدون أيضاً على تربية الحيوانات، كانت حياتهم بسيطة وهادئة ، ويمارسون الزراعة بالطريقة التقليدية ذات المردود الضعيف، ثم أخذوا يغيرون من أساليبهم الزراعية بإدخال استعمال الآلات والأسمدة والضخ ، ويستفيدون من إرشاد ومساعدات الوحدة الزراعية ، وكانت رنية تشتهر ببعض المهن اليدوية كنسيج الصوف الخاص بالأخرجة والمناثر والبيوت ، وكان يتمثل فيها اقتصاد الاكتفاء الذاتي المغلق شأن بقية المناطق القليلة الموارد قبل أن تنفتح على مناطق المملكة الأخرى ، وقبل انتشار استعمال السيارات بكثافة ، وإنشاء الطرق ، وتطوير بعض مشاريع المياه لخدمة الزراعة ، أو الاستعمال المترلي ، فأخذ اقتصادها يتطور كجزء من تطور اقتصاد المملكة "[٢] .

وفي عنوان آخر أطلق عليه اسم (أحواض وادي تربة)، وهذا العنوان ينقسم إلى قسمين هما: (١) قضاء تربة . (٢) قضاء الخرمة . ويفهم من ذلك أن وادي تربة تبدأ منابعه من أعالي جبال السروات في ديار غامد وزهران وبني مالك ويسير من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي فيخترق أراضي تربة والخرمة، ويتسمى الوادي في كل منهما باسمهما ، فيطلق عليه في الجزء الأول وادي تربة ، وفي الجزء الثاني وادي الخرمة[٣] .

ويسكن في الجزء العلوي من وادي تربة قبيلة بلحارث ، وهذه القبيلة تسكن المناطق الجبلية في شمال بلاد بجيلة بني مالك ، وتمتد بلادها إلى حوض وادي تربة الأوسط ، وتضم أرض الجبوب ، المعروفة أيضاً بـ (غزايل) الواقعة في جنوب شرق الطائف،

---

(١) عبد الرحمن الشريف يتحدث عن رنية في نهاية القرن الهجري الماضي وبدايات هذا القرن ، واليوم من يزور رنية يجدها أصبحت من المدن المتطورة في عمارتها وشوارعها وأسواقها وثقافة أهلها . وآمل أن أقوم برحلة ميدانية إلى كل من رنية وتربة والخرمة فأدون عنها معلومات تعكس تطورها وازدهارها خلال الأربعين سنة الماضية ، وأرجو من الله أن يتحقق هذا العمل قريباً .

(٢) انظر الشريف ، ج٢، ص ٤٦٣ــ ٤٦٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٤٦٤ ــ ٤٦٦ .

والتي تكثر فيها أماكن تعدين أثرية ومهجورة . والجبوب هضبة واسعة تحددها الروافد العديدة التي التي تنحدر إليها من المناطق الجبلية في الغرب ، وتتجه إجمالاً نحو الشرق ، وينتهي بعضها إلى تربة [١] . وإلى الشمال الشرقي من بلاد بلحارث تسكن البقوم ، وتمتلك جزء كبير من وادي تربة الواقع في وسط المسافة بين تربة والخرمة ، وتمتد أرض البقوم باتجاه الشرق من الوادي فتضم معظم حرة البقوم ، وتجاور أيضاً بعض عشائر سبيع [٢] .

أما بلاد الخرمة فهي تحتل القسم الشمالي الشرقي من حوض تربة ، وكذلك الشمالي الشرقي من إقليم هضبة جنوب غرب المملكة ، وذلك إلى الشمال من قضائي رنية وتربة ، فتجاور من الجهة الشرقية عاليه نجد التابعة لإمارة الرياض . وتشغل معظم بلاد الخرمة الحوض الأدنى لوادي تربة ، والمعروف باسم (وادي الخرمة) ، أو (وادي سبيع) ، كما جاء في بعض المراجع والمصادر[٣] .

ويتحدث هذا الجغرافي عن الخرمة على أنها تميل إلى حياة البادية ، ثم بدأت التنمية تصل إليها ففتحت فيها المدارس ، وأنشئت الدوائر الحكومية ، وبدأ أهلها تدريجياً يتحولون من حياة البادية إلى حياة التمدن والحضارة [٤].

ويشير إلى موقعها فيقول : " تقع بلدة الخرمة في طرف السهل الذي يلي الحرات البركانية والمرتفعات أو البروزات الجبلية ، وذلك قرب نهاية الوادي ، فاتخذت مركزاً هاماً على طرق القوافل الداخلية منذ زمن بعيد ، لاسيما الطريق من الحجاز (الطائف) إلى المناطق الجبلية في الجنوب ؛ سواءً بني مالك أم الباحة أم عسير ،

---

(١) المرجع نفسه ، ج٢، ص ٤٦٧ ــ ٤٦٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٤٦٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٤٦٨ . هناك عدد من المراجع والمصادر خلال القرون الماضية المتأخرة ذكرت أسفل وادي تربة باسم (وادي سبيع) ، وذلك لأن معظم سكان هذا الوادي في الخرمة من قبيلة سبيع .

(٤) الشريف ، جغرافية المملكة ، ج٢، ص ٤٦٨ ــ ٤٦٩ .

تلك الطريق التي تتجنب وعورة المرتفعات فتتجه أولاً إلى الشرق حتى الخرمة ومنها يبدأ التفرع" [١] .

ثالثاً : وقفة قراءة ومقارنة للرحالة ومدوناتهم :

١ـ تنوع ثقافة الجغرافيين والرحالين :

الفاحص لسير هؤلاء الرحالين والجغرافيين ، يجد تنوع مساقط رؤوسهم وتعددها ، فمنهم الذي ولد وعاش بداية حياته في شرق العالم الإسلامي مثل: بلاد العراق وفارس وما حولها ، ومنهم من ظهر في بلدان الأندلس أو مغرب العالم الإسلامي ، وهناك من قضى حياته في الجزيرة العربية كأبي علي الهجري ، وعرام السُلمي ، والحسن الهمداني ، والشريف البركاتي ، وفؤاد حمزة ، ومحمد عمر رفيع ، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن صادق الشريف[٢] .

وبعضاً من هؤلاء الرحالين ولدوا وعاشوا في بعض البلدان الأوربية مثل: موريس تاميزيه ، وفلبي ، وفيليب ليبتر ، ثم ساقتهم الأقدار إلى بلاد العرب ، وجاءوا إلى أرض الجزيرة العربية فتجولوا في بعض أرجائها وكتبوا عن كثير من تاريخ وثقافة سكانها[٣] .

---

(١) المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٤٦٩ . من يقارن بين الخرمة وتربة ورنية ، يجد الخرمة تميل بشدة إلى حياة البادية ، كما أن أرضها صحراوية ، فأمطارها قليلة ، وغطاؤها النباتي ضعيف ، في حين أعالي تربة ورنية أكثر رخاء بوفرة مياهها وتنوع ثرواتها الزراعية ، وربما أن سكان تربة ورنية أكثر تحضراً ومدنية من الخرمة ، وذلك لأهمية الناحيتين الأوليتين للتجارة والتجار على مر التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث . وإذا قارنا بلاد السروات بأرض رنية وتربة فقد تكون الأولى أغنى بثرواتها الحيوانية والزراعية ، إلا أن أرضها أشد وعورة من تربة ورنية ، ومن ثم فالتجار والتجارات كانت دائماً ترتاد طريق بيشة ورنية وتربة أكثر من أعالي السروات .

(٢) للمزيد عن هؤلاء الجغرافيين انظر: كتبهم التي ذكرناها في هذا البحث ، وهناك أيضاً دراسات عن بعضهم ، وقد طبعت ونشرت مثل: الهمداني ، والبركاتي ، وفؤاد حمزة ، والبلادي وغيرهم .

(٣) يعد هاري سانت جون فلبي (الحاج عبد الله فلبي) أكثر من ساح في أنحاء الجزيرة العربية ، وأفضل من كتب عنها من الأوربيين والمستشرقين بشكل عام خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومن ثم فكتبه من المصادر الرئيسة لتاريخ وحضارة هذه الجزيرة أثناء القرن الآنف ذكره .

من يقف مع كل جغرافي ورحالة جاء ذكره في هذا القسم ، ويقوم على دراسة حياته وثقافته فسوف يتضح له عدة أمور نذكرها في النقاط الآتية :

أ ■ غزارة واتساع معارف معظمهم ، وبخاصة الجغرافيين الذين عاشوا خلال القرون الإسلامية المبكرة الوسيطة من القرن (٢ــ٨هـ/ق ٨ــ١٤م) ، فهؤلاء : الحربي ، والهجري، والهمداني، والمقدسي ، والبكري ، والحموي ، وابن فضل الله العُمري ، كانوا موسوعات في علومهم وثقافتهم ، وإذا أوردنا أسماءهم في هذه الدراسة على أنهم رحالين وجغرافيين ، إلا أنهم كانوا علماء في علوم أخرى عديدة مثل: مجالات الشريعة، واللغة ، والشعر ، والأدب ، وبعضهم كان ملماً ببعض العلوم العلمية البحتة مثل: الهمداني في كتابه: الجوهرتين العتيقتين وغيره[١]. ومن الجغرافيين الأوائل من يتقن اللغة العربية ولغات أخرى، فهذا ناصر خسرو كان بارعاً في اللغة الفارسية ، والإدريسي كان على مقربة من ملك صقلية ، بل إن هذا الملك نفسه هو الذي طلب من الإدريسي أن يكتب له كتاباً عن مملكة صقلية وما عاصرها من الممالك ، ولهذا امتثل لهذا الطلب ، ودون كتبه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وهذا ابن بطوطة الذي جاب بلدان عديدة في القرنين (٥ــ٦هـ/ق١١ــ١٢م)، وقابل كثيراً من الأباطرة والملوك والأمراء والأعيان والوجهاء في بلاد الهند والصين وبلدان أخرى عديدة في قارات أوربا وآسيا وإفريقيا ، ودرس الكثير من عاداتهم ومعارفهم ولغاتهم [٢]. من هؤلاء الرحالين العلماء الغربيين ، كفلبي ، وليبتز ، وتاميزيه فجميعهم من دول أوربا ، ولدوا وعاشوا بداية حياتهم في بلدان متعددة مثل : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا، ومن ثم فهم يتكلمون لغات عديدة ، وتعلموا أيضاً لغات أخرى مثل اللغة العربية وغيرها ،

---

(١) من يقرأ كتاب الجوهرتين للهمداني يجده فصل الحديث في معدني الذهب والفضة وكيفية استخراجهما وصياغتهما وذكر أوزانهما .

(٢) للمزيد انظر تراجم هؤلاء العلماء في مؤلفات ومصنفات عديدة ، وهناك عشرات البحوث التي صدرت عن ابن بطوطة ، والإدريسي وغيرهما .

وكانوا على علم ودراية واسعة بحياة بعض الشعوب والبلدان في أوربا وآسيا وأجزاء من إفريقيا[١] .

ب ■ هؤلاء الجغرافيون عاشوا في عصور مختلفة بدءاً من القرن الثاني الهجري (ق٨م) حتى القرن التاسع الهجري (ق ١٥م) ، ثم من القرن (١٣ــ١٥هـ/ق١٩ــ٢١م) ، وبالتالي شاهدوا وعاصروا ودونوا ثقافات وحضارات مختلفة عبر تلك القرون العديدة ، بل إن بعضهم كان سائحاً في أرض الله ، يدون ويشاهد كثيراً مما رآه وعاصره ، وبعضاً آخر كانوا قريباً من صناع القرار في كثير من البلدان ، أو أنهم تقلدوا بعض الأعمال في عدد من إدارات الدول الإسلامية التي عاصروها ، وهذا التنوع في السير والاختلاف في كثير من أحوال هؤلاء الرحالين جعلتنا نطلع على قامات علمية وثقافية وفكرية متعددة المواهب والمعارف[٢] .

ج ■ اختلاف الأهواء والعقائد عند هؤلاء الرحالة ، فأكثرهم يؤمنون بالإسلام وهم على مذهب أهل السنة والجماعة ، وآخرون يعتقدون المذهب الشيعي ، ويختلفون في اعتقادهم من فرقة إلى أخرى[٣] ، وفريق ثالث يؤمنون بالنصرانية ويمارسون حياتهم الدينية من خلالها[٤]. وهذا الاختلاف العقائدي يجعلنا ندرك اختلاف الأفكار والثقافات

---

(١) من يقرأ سيرهم يلحظ أنهم عاشوا بدايات حياتهم في بلدانهم مثل أوربا ، ثم انتقلوا إلى الشرق وساحوا في كثير من بلدانه وكتبوا عن تاريخ وثقافة بعض من البلدان التي زاروها وأقاموا فيها ردحاً من الزمن .

(٢) لو رجعنا إلى سيرة كل واحد من هؤلاء الرحالة وجدنا بعضهم مثل: ابن خرداذبة ، وقدامه ، وناصر خسرو ، والإدريسي، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وابن فضل الله العُمري ، وفؤاد حمزة ، والبركاتي ، وفلبي ، ومحمد رفيع قد عاصروا دولاً إسلامية وعربية عديدة ، بل إن معظمهم تقلدوا الوظائف الحكومية في الدول التي عاصروها .

(٣) فرق الشيعة عديدة ومختلفة في آرائها وممارساتها الدينية ، وهناك اختلافات أيضاً عند أهل السنة ، ويوجد مئات الدراسات التي تفصل الحديث عن هذه الاختلافات الدينية والعقائدية .

(٤) فلبي وتاميزيه ، وليبتز وهم في الأساس نصارى ، لكن فلبي اعتنق مؤخراً الإسلام ، وعاش زمناً طويلاً في الجزيرة العربية .

عند هؤلاء العلماء الجغرافيين ، وما من شك أن ذلك يعد إيجابياً ، حتى لو اختلفوا معنا في عقائدنا وما نؤمن به ، إلا أنهم أصحاب ثقافات ومعارف غنية ومتنوعة[١] .

- الملاحظ على هؤلاء الجغرافيين أنهم تقريباً جميعهم جاءوا إلى أرض الحرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ، وقضى معظمهم فريضة الحج ، والتقوا بأهل الجزيرة العربية في أرض المقدسات ، وتعلم بعضهم على يد علماء الحرمين ، وآخرون التقوا وسمعوا من بعض الرواة في الحجاز الذين نقلوا منهم بعض الروايات والأخبار عن بلادهم . وهذا القول ينطبق على من نقل بعض الأخبار عن رنية وتربة وأجزاء من بلاد السراة وهم لم يزوروها ، وهذا ما نجده مدوناً في كثير من مؤلفات هؤلاء الرحالين والجغرافيين المتقدمين[٢] .

- الاختلاف في مساقط الرؤوس ، وتعدد المذاهب والعقائد ، والاختلاف أيضاً في العصور، والجنسيات، واللغات ، والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء الرحالين ، جعلتنا أمام غزارة وتنوع ثقافي ومعرفي في كل ما خلف لنا هؤلاء العلماء على مر التواريخ الإسلامية المختلفة. ومدونات هؤلاء الجغرافيين في علم الرحلة والجغرافيا تعد من أهم المعارف التي حفظوها لنا ، والتي من خلالها عرفنا تفصيلات ومعلومات تاريخية وحضارية عن أوطان وبلدان نائية مثل: رنية وتربة والخرمة ، ولو لم تصلنا مثل هذه المصادر ، فقد لا نعرف شيئاً كثيراً عن حضارة مثل هذه البلدان العربية الإسلامية[٣] .

---

(١) الاختلافات العقائدية جانب مهم من الثقافة والمعرفة ، ونحن أمام شرائح عديدة من هؤلاء الجغرافيين متنوعي الفكر والثقافة الدينية .

(٢) كثير من العلماء والجغرافيين الأوائل دونوا معلومات عن أرض السروات أو بعض الأجزاء الأخرى في الجزيرة دون أن يروها أو يزوروها ، وغالباً كانوا ينقلون من مصادر من سبقهم ، أو يسمعون لبعض الرواة الذين يلتقون بهم في الحجاز أو بعض الأمصار الإسلامية الأخرى ثم يكتبون ماسمعوا منهم . ومن أولئك الجغرافيين ابن خرداذبة ، وابن رسته ، وابن حوقل ، وقدامة ، والحربي ، والبكري ، والإدريسي ، وابن جبير ، وابن بطوطة ، وياقوت الحموي ، وابن فضل الله العُمري .

(٣) تعدد مصادر ومراجع علوم الجغرافيا والرحلة قديماً وحديثاً من أهم المؤلفات التي تحتوي على تفصيلات علمية تاريخية وحضارية عن كثير من البلدان والشعوب في العالم العربي الإسلامي ، ولهذا فلا غنى لأي باحث ومؤرخ من الرجوع إلى مثل هذا النوع من المصادر .

٢ـ المصادر والمنهج المستخدم في جمع المادة :

إذا تأملنا في المادة المدونة عن رنية وتربة والخرمة ، وفحصنا مصادر ومناهج هؤلاء الجغرافيين في تأليف رحلاتهم وكتبهم ، وجدنا أنها في الغالب تقدم على أربعة أنواع رئيسة من المصادر ، وهي على النحو الآتي :

أ ـ رحالون جمعوا معلوماتهم عن هذه البلدان الثلاثة " رنية ، وتربة ، ونادراً الخرمة "[١] ، من مؤلفات ومصادر من سبقهم من الكتاب والمؤلفين الأقدمين والذين نهجوا هذا السبيل : ابن رستة ، وابن حوقل ، وأبو الفرج قدامة ، والبكري ، والإدريسي ، وياقوت الحموي ، وابن فضل الله العُمري [٢] .

ب ـ جغرافيون آخرون جمعوا معارفهم من مؤلفات من سبقهم ، ولم يقتصروا على ذلك وإنما نقلوا كثيراً من معارفهم من الروائيين والإخباريين الذين التقوا بهم في مدن الحجاز الكبرى ، أو في حواضر إسلامية أخرى في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه ، وعرام بن الأصبغ السلمي ، وأبوعلي الهجري، وأبو عبيد الله ابن عبد العزيز البكري، وياقوت الحموي، وابن فضل الله العُمري أفضل من جمع بين النقل من المصادر، واللقاء والسماع من بعض الإخباريين ، وبالتالي فأغلب موادهم العلمية مستقاة من هذين المصدرين. وعرام السلمي ، وأبو علي الهجري هما أحسن من حفظ لنا تفصيلات نادرة عن بلدان نائية أو منسية في الجزيرة العربية ، ومعظم مدوناتهم

---

(١) قلنا (نادراً الخرمة) لأن اسم هذه البلاد لم يظهر إلا حديثاً ولم نجد لها ذكر عند المتقدمين من العلماء والجغرافيين قبل القرن العاشر الهجري (١٦م) ، وربما انزوائها في بعض الصحاري شمال شرق الطائف كان من الأسباب الرئيسة في عدم ذكرها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٢) الدارس للمدونات التي دونت في هذه المؤلفات المبكرة عن بعض البلدان البعيدة والنائية في الجزيرة العربية مثل: رنية وتربة يجد معظمها منقولاً من مصادر سابقة لعصورهم ، وأغلب هذه المؤلفات القديمة ضاعت فلم نستطع العثور عليها ، ولا ندري هل لازالت مخطوطات في أماكن لا نعلمها ، أم أنها فقدت ؟ ونجد بعضاً من نصوصها حفظت في مؤلفات متأخرة لعصور من كتبها ، وهؤلاء الجغرافيون الأوائل من العلماء الذين جمعوا لنا مقتطفات من تلك الكتب الضائعة .

جاءت عن طريق السماع والرواية ، وكثيراً مما حفظوا لنا ، لا نجده إلا عندهما، وذلك لأنهما جمعا معارفهما عن تاريخ وحضارة سكان الجزيرة العربية في القرون (٢ــ٤هـ/ق٨ــ١٠م) ، وهي الفترة التي أهمل التدوين فيها عن موروث هذه البلاد ، ولذا فهما (السلمي والهجري) يعدان رائدان فيما حفظا وجمعا[١] . وموريس تاميزيه ، والشريف البركاتي ، وفؤاد حمزة ، وهاري سانت جون فلبي ، ومحمد عمر رفيع ، وفيليب ليبتر ، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن صادق الشريف[٢] . فجيمعهم زاروا (رنية وتربة) أو عبروا جزءاً من أراضيها ، وبعضهم مثل: البلادي وعبد الرحمن صادق الشريف ذكروا الخرمة ، وأشارا إلى صور من جغرافيتها وتاريخها . ونستطيع القول أن جل ما كتب هؤلاء الرحالون من الرحلات والمشاهدات ، ثم إن كثيراً من مدوناتهم جديدة في مضمونها ومحتواها ، وهم في نظري رواد فيما ذكروا عن هذه البلاد النائية [٣] .

■ هناك فريق من الجغرافيين ، لم ينقلوا معلوماتهم ، ولم يدونوا أخبارهم عن بلاد السراة وما جاء شرقها من الرواة والإخباريين ، ولم يزوروا تلك البلاد ، وإنما شاهدوا بعضاً من سكانها في الحرم المكي . وابن جبير وابن بطوطة وربما ابن فضل الله العُمري أفضل من نقل لنا معلومات تاريخية عن أشكال وطبيعة سكان تلك البلاد النائية في أرض السراة وبيشة وتربة ورنية وغيرها ، وذلك أثناء زيارتهم لمكة المكرمة ، بل إنهم من أطلعنا على بعض الصلات الاجتماعية والتجارية لأهل تلك البلاد الجبلية ، عندما

---

(١) هذان العالمان يستحقان أن يفرد لهما دراسات علمية مستقلة ، ونأمل من المؤرخين في أقسام التاريخ والأدب في جامعاتنا السعودية أن يلتفتوا لهذين العلمين فيدرسون علومهما ومناهجهما فيما جمعا ودرسا من صفحات في تاريخ وثقافة الجزيرة العربية، كما نأمل أن توجه هذه الأقسام طلابها في برامج الدراسات العليا إلى دراسة هؤلاء الرحالين المسلمين وغير المسلمين المذكورين في هذا البحث . .

(٢) انظر بعضاً من مدوناتهم عن الخرمة ورنية وتربة في صفحات سابقة من هذا البحث ، ولا ندعي تدوين كل ما كتبوا وحفظوا عن هذه الأوطان ، إلا أننا ذكرنا كثيراً من مشاهداتهم ورواياتهم .

(٣) نعم تربة ورنية والخرمة تعد من البلدان المنسية والقصية عند كثير ممن دون موروث الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية المختلفة .

كانوا يأتون إلى مكة ، والإقامة فيها لبعض الوقت ، والعيش مع سكانها والتعامل معهم في جوانب حضارية عديدة.

أما المنهج المتبع عند هؤلاء الرحالين ، فهو قائم على الرصد والوصف ، بصرف النظر عن المصدر الذي جمعت منه المعلومات ، ولا نجد عند أي من هؤلاء الجغرافيين أسلوب النقد ، أو التحليل ، أو المقارنة، مع العلم أننا وجدنا في بعض الروايات التي نقلوها أو دونوها معلومات مغلوطة وغير صحيحة ، وجاء بعدهم مؤلفون متأخرون فنقلوا نفس التفاصيل التي ذكرها من قبلهم ، وبنفس الأخطاء الواردة عند السابقين. وكنا نأمل من الرحالة المتأخرين أن يصححوا ما وقع فيه من سبقهم من أخطاء ، أو يوضحوا ما كان غامضاً ، أو يستكملوا ما كان ناقصاً . لكن مع وجود مثل هذه السلبيات ، إلا أن الجغرافيين المذكورين في هذه الدراسة يعدون أصحاب سبق وريادة فيما كتبوا عن بعض المواطن في الجزيرة العربية ، وبخاصة المنسية أو قليلة الذكر في كتب التراث مثل: بلدان السروات ، وأوطان عديدة شرق السروات ، أو في أجزاء من نجد مثل: الخرمة ، ورنية ، وتربة .

٣ـ دراسة المادة العلمية ومقارنتها :

الفاحص لما خلف لنا هؤلاء الجغرافيون والرحالون عن تاريخ وحضارة بلاد الخرمة، وتربة، ورنية يلحظ التفاوت في أحجام مدوناتهم، والتنوع أحياناً فيما شاهدوه ، أو دونوه ، أو نقلوه[١] .وفي الصفحات التالية نذكر بعض النقاط التحليلية والمقارنة عن المادة المدونة في هذه الدراسة ، وهي على النحو الآتي :

---

(١) البعض من الجغرافيين شاهدوا هذه البلاد المعنية في هذا البحث ، ثم دونوا مشاهداتهم في مؤلفاتهم ، وعدد آخر لم يروا الخرمة، وتربة ، ورينة ، وما حولها ، واكتفوا بنقل بعض أخبارها من رواة عرفوها أو سمعوا عنها ، أو نقلوا ما دونوه من مؤلفين سابقين لعصورهم مع أن كتبهم لم تصلنا ، لكن بعضاً من رحالة وجغرافي القرون الوسطى وأوائل العصر الحديث نقلوا من تلك المؤلفات المفقودة والضائعة .

أ ■ الجغرافيون المذكورون من القرن (٢ــ٨هـ/ق٨ــ١٤م)، أشاروا إلى بلدتي رنية وتربة ، ومعظمهم ذكروها ضمن محطات الطريق التجارية التي تخرج من اليمن حتى الطائف ومكة المكرمة ، ولا يوجد تفصيلات تاريخية وحضارية كثيرة عن هاتين الناحيتين ، وإنما جل ما ذكروه وجودهما في وسط الطريق بين بيشة وتبالة في الجنوب، والطائف في الشمال ، ومن أولئك الرحالة من ذكر المسافة بالأميال بين رنية وتربة وما حولهما مثل الهمداني، وآخرون دونوا نتفاً قليلة عن وفرة النخيل والمزروعات فيهما ، أو أسماء بعض العشائر أو البطون التي تسكن في تربة ورينة ، مثل عرام السلمي ، وأبو الفرج قدامة ، والبكري ، وياقوت الحموي[١] .

ب ■ لا نجد ذكراً لبلدة الخرمة عند أولئك المتقدمين ، ولم نجدها مذكورة إلا عند المتأخرين مثل فؤاد حمزة، وفلبي ، ومحمد عمر رفيع، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن صادق الشريف. فالأوائل لم يذكروها البتة ، ربما لعدم وجودها بهذا الاسم ، مع أنها تقع في أسفل وادي تربة ، وقبائل سبيع تقطنها منذ زمن طويل ، وأفضل من فصل الحديث عنها من رحالتنا هم : فؤاد حمزة ، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن صادق الشريف فذكروا موقعها إلى الشمال الشرقي من مدينة الطائف، وأنها تتصل بطريق رئيس مع رنية وتربة ، وأن بلادها في الجزء الأخير من وادي تربة[٢] .

ج ■ هناك رحالون لم يزوروا رنية أو تربة أو حتى بلاد السروات المحاذية لهاتين البلدتين من الغرب ، لكنهم دونوا لنا معلومات قيمة عن بعض الصور الاجتماعية

---

(١) انظر مدوناتهم في النصوص المنقولة في صفحات سابقة من هذه الدراسة . وبعضاً من أولئك الرحالين ذكروا أن رنية وتربة من البلدان التابعة إدارياً لمكة المكرمة . وهاتان الناحيتان لازلتا تتبعان لإمارة مكة المكرمة حتى اليوم .

(٢) ونقول إن الخرمة (أرضاً وسكاناً) تحتاج إلى دراسات علمية أكاديمية تفصل الحديث عن قبائلها وعن تاريخها الحضاري والسياسي وبخاصة في العصر الحديث ، حبذا أن يأتي من يدرس أرضها خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وما هي الأسماء التي كانت تطلق عليها ؟ ، وكيف أصبح اسمها الخرمة ؟ ، ولماذا ؟ .

والاقتصادية لسكان تلك البلاد ، ومعلوماتهم المدونة من خلال ما شاهدوه عنهم في مكة المكرمة ، أو من خلال ما سمعوه من بعض الرواة . وناصر خسرو ، والمقدسي ، وابن جبير، وابن المجاور ، وابن بطوطة ، وابن فضل الله العُمري يأتون على رأس قائمة أولئك الجغرافيين[١] .

- عرام السلمي ، والهجري ، والهمداني من سكان الجزيرة العربية ، وممن سار في مناكب هذه البلاد، لكنهم لم يزوروا تربة ورنية ما عدا الهمداني الذي ربما اجتاز بلادها ، مع أنهم فصلوا الحديث عن مناطق عديدة غيرها في الجزيرة العربية ، وأشاروا إلى كل من هاتين الناحيتين ، إلا أن معلوماتهم عنها مازالت قليلة جداً ولا تشفي الغلة ، وكنت أتمنى أن يدونوا لنا تفصيلات مطولة عنهما[٢] .

- من يتأمل في المادة المحفوظة عن رنية وتربة عند الأقدمين قبل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، يجدها ناقصة ، فلا نستطيع أن نخرج بصورة واضحة من مادتهم العلمية التي وصلتنا ، نعم هناك إشارات جغرافية واجتماعية واقتصادية وأحياناً معلومات عامة ، لكنها جميعها مازالت غامضة وغير واضحة أو وافية ،

---

(١) أقوال هؤلاء الرحالة يتحدثون عن السكان الذين كانوا يفدون إلى مكة المكرمة ، وبلادهم الأصلية هي جنوبي الطائف مثل: بلاد السرو ، ورنية ، وتربة ، وبيشةوغيرها. فنجدهم ذكروا بعض المعلومات عن السلع التي كانوا يجلبونها معهم من بلادهم ويقايضونها مع سلع أخرى في مكة ، كما أشاروا إلى بعض عاداتهم وهيئة ألبستهم عندما يدخلون مكة . والدارس للعلاقات بين أهل مكة والبلدان الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من مدينة الطائف يجدها صلات متينة من قبل الإسلام وعدا أطوار التاريخ الإسلامي. وهذه العلاقات لم تدرس دراسات أكاديمية ، حبذا أن تلفت الجامعات المحلية في الطائف وبيشة والباحة إلى دراسة مثل هذا الميدان الكبير والمهم .

(٢) هؤلاء الجغرافيون الثلاثة (عرام ، والهمداني ، والهجري) يستطيعون أن يفصلوا لنا الحديث عن هذه البلاد (رنية وتربة) خلال القرون الإسلامية المبكرة (ق٢ــ٤هـ/ ق ٨ــ١٠م) ، لأنهم أبناء الجزيرة العربية ، وممن تجولوا في أرجائها ويعرفون حواضرها وقراها وبواديها وأوديتها وجبالها وقبائلها ومواطنهم ، وهم فعلاً جديرون بتزويدنا بمعلومات كثيرة عن هذه البلاد المعنية في هذه الدراسة ، لكنهم لم يفعلوا ، واكتفوا بالإشارة إليها فقط .

وكنت آمل أن نخرج بصورة أشمل عن تاريخ وحضارة تلك المجتمعات التربية والرنوية[١] .

و ▪ من المعروف عن فلبي (الحاج عبد الله فلبي) أنه اجتاز بلاد رنية وتربة أكثر من مرة ، وفي بعض الأوقات كان برفقته رحالين آخرين مثل فيليب ليبتز ، والدارس لمؤلفات فلبي يجدها كثيرة وثرية بمعلوماتها الجديدة والقيمة ، ولكنه لم يفدنا كثيراً عن تاريخ وحضارة التربيين والرنويين وأهل الخرمة ، وإنما اكتفى بوصف تضاريس بلادهم ، وذكر إشارات يسيرة عن واديي تربة ورنية وبعض مزارعها وطيورها وحيواناتها وسكانها . مع أنه فصل الحديث عن بلدان أخرى مثل : بيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، ونجران، وجازان[٢].

ز ▪ موريس تاميزيه أفضل من قدم لنا معلومات تاريخية عن بلاد وسكان رنية خلال القرن (١٣هـ/١٩م)، وإذا قارنا مادة هذا الرحالة مع غيره فلازال أفضلهم ، لأنه ذكر تفصيلات جيدة عن بعض الصور الاجتماعية والاقتصادية وبخاصة في زمن تجد الجهل والفقر مطبقان على عموم البلاد في جزيرة العرب[٣] .

---

(١) نقول إن الفرصة كبيرة للباحثين من المؤرخين والآثاريين لدراسة تاريخ وحضارة بلاد تربة ورنية ، والبحث في جميع مصادر كتب التراث الإسلامي من الموارد الرئيسة لمعرفة تواريخ هذه البلاد ، لكن الدراسة الأثرية والتنقيب عن الآثار في هذه الأوطان قد تفيد كثيراً في معرفة حضارتها قبل الإسلام ، وأثناء عصور الإسلام المبكرة والوسيطة .

(٢) يعتبر فلبي أفضل من كتب عن الجزيرة العربية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فقد أسهب في شروحاته عن سكان وتاريخ وحضارة هذه البلاد ، وبعض المناطق لم تنل رعاية هذه الرحالة الغربي الجيد ، وبلاد السروات الممتدة من أبها إلى الطائف ، وبلدان رنية والخرمة وتربة من المواطن التي اختصر الحديث عنها أثناء مروره من بعض أراضيها .

(٣) معلومات تاميزيه عن سكان وأرض رنية جيدة ، ويصعب أن نجدها في أي مصدر آخر . ونقول إن تاريخ رنية أو تربة خلال القرنين (١٢ـ١٣هـ/١٨ـ١٩م) من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها كتب ودراسات علمية مستقلة ، ونأمل من جامعات أم القرى، والباحة ، والطائف، وبيشة أن تدعم وتشجع مثل هذه الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة.

ح ■ الشريف البركاتي ، وفؤاد حمزة ، ومحمد رفيع ، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن الشريف، ممن أشاروا إلى صور من تاريخ رنية وتربة وأحياناً الخرمة خلال القرنين (١٤ــ١٥هـ/ ٢٠م). وجل حديث البركاتي ومحمد رفيع عن تربة فقد دونا لمحات من حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية ، أما فؤاد وحمزة ، وعاتق البلادي ، وعبد الرحمن الشريف فكتبوا عن تربة ورنية وأشاروا إلى واديهما وسكانهما ومعلومات تاريخية وحضارية أخرى ، كما ذكروا وادي الخرمة وصلته بوادي تربة وسكانه[١] .

ط ■ جميع الرحالين الذين ذكروا في هذه الدراسة ، يشيرون إلى معلومات جغرافية مثل الموقع والتضاريس والمناخ ، وبعض الأخبار الاجتماعية والاقتصادية ، إلا أننا لا نجد أحداً يتحدث عن الحياة التعليمية والثقافية والفكرية ، ما عدا فيليب ليبتر الذي أشار إلى المدرسة والتدريس في تربة فقال " إن المدرسة المحلية ليست باهظة التكاليف"[٢] . ثم يقول " وفي بعض الجهات تدفع للآباء نقوداً لتشجيعهم على الذهاب بأبنائهم إلى المدرسة "[٣] . هذه الإشارة الوحيدة التي وجدناها عند رحالة واحد من (٢٥) رحالة وجغرافي، والسبب في عدم الإشارة إلى التاريخ المعرفي في هذه البلاد ، ربما يعود إلى موقعها المتروي بين صحاري نجد وسفوح السروات الشرقية ، ثم إن أهلها بدو رحل يعيشون على التنقل ورعي مواشيهم وبهائمهم ، بالإضافة إلى ممارسة الزراعة عند بعضهم ، ومن ثم فجل أعمالهم مرتكزة على الكدح الشاق من أجل كسب معايشهم، دون الالتفاف إلى طلب العلم والمعرفة [٤] .

---

(١) كما أشرنا سابقاً ، لم تذكر الخرمة بنفس المستوى الذي ذكر عن رنية وتربة ، فالبلدتان الأخيرتان مذكورتان من قبل الإسلام وخلال العصور الإسلامية المختلفة ، أما الخرمة فذكرها ورد في المراجع المتأخرة وبخاصة خلال القرن (١٤هـ/ ٢٠م).

(٢) فيليب ليبتر ، ص ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تاريخ الأدب والثقافة والفكر والتعليم في عموم الجزيرة العربية ، ما عدا حواضر اليمن والحجاز ، مازال مهملاً وغير مدون وبخاصة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وحتى بدايات القرن (١٤هـ/ ٢٠م). وربما الفقر والجهل وفقدان الأمن في البلاد كانت من العوامل السلبية لعدم وجود حياة علمية وثقافية ملموسة . لا ننكر أنه كان هناك متعلمون قلائل يذهبون إلى الحجاز أو اليمن للتعلم ثم العودة إلى بلادهم للتعليم ، وكان ذلك موجوداً في السروات وبيشة وما حولها ، لكن لازلنا نفتقد إلى

٤ـ رابعاً : آراء وتوصيات :

رنية وتربة والخرمة من الواحات الغنية في الجزيرة العربية بثرواتها الزراعية والحيوانية ، فهي تجمع بين حياة البادية والحاضرة ، وقبائل البقوم وسبيع وبعض أسر الأشراف يستوطنونها منذ أزمنة بعيدة . وربما موقعها في أجزاء نجد الغربية والجنوبية الغربية ، وعند سفوح السروات الشرقية جعلها في عزلة تاريخية وحضارية وتنموية [١]. وهذا ما لمسته في هذا المبحث الذي استعرض مدونات (٢٥) رحالة وجغرافي أشاروا إلى بلدات الخرمة ، ورنية وتربة منذ القرن (٢ــ ١٤هـ/ ق٨ــ ٢٠م) ، ولا ندعي الكمال في هذا العمل العلمي ، لكننا جمعنا ودرسنا جزئية قليلة من تاريخ وحضارة هذه البلاد عند بعض الجغرافيين المتقدمين والمتأخرين المسلمين وغير المسلمين [٢].

وفي نهاية هذا البحث نذكر بعضاً من التوصيات التي ارتأيناها ، وهي على النحو الآتي :

١ـ هذه الأوطان الثلاثة (رنية ، وتربة ، والخرمة) تستحق في وقتنا الحاضر أن تكون منطقة رئيسة في حكومة المملكة العربية السعودية ، وذلك لكثافة سكانها العالية ، ولاتساع أرضها ، وتنوع تضاريسها ، ثم لبعدها الكبير عن المناطق التابعة لها سواءً كانت إمارة الرياض ، أو إمارة مكة المكرمة [٣]. ونقترح أن تستقل هذه البلدان

بحوث ودراسات علمية تؤكد لنا ذلك وتوضحه ، ونأمل أن نرى من طلابنا في برامج الماجستير والدكتوراة من يتولى هذا الجانب العلمي المهم .

(١) حديثنا عن هذه البلدان منذ عصر ما قبل الإسلام إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، فتلك البلدان كانت فعلاً في معزل عن الحضارة والتمدن ، وجل أهلها كانوا يعيشون حياة البادية ، ومنذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م) امتدت إليها يد التنمية ، حتى أصبحت اليوم من البلدان والحواضر المتمدنة. ولدينا العزم للسفر إلى هذه البلدان الثلاثة (رنية ، وتربة ، والخرمة) من أجل تدوين مشاهداتنا عن أرضها وسكانها، ونرجو من الله عز وجل أن ييسر ذلك حتى يكون في وقت قريب (بإذن الله تعالى).

(٢) للمزيد عن هؤلاء الجغرافيين المذكورين في هذه الدراسة ، انظر نبذ تراجمهم وسيرهم الذاتية في صفحات سابقة من هذا البحث، وكذلك في مقدمات كتبهم ودراساتهم التي وصلتنا مطبوعة ومنشورة .

(٣) معظم أراضي هذه المناطق تتبع الإمارة مكة المكرمة ، وأجزاء أخرى وبخاصة ما هو قريباً من الخرمة وما يقع شرقها تتبع لإمارة الرياض. والمسافة بين حواضر هذه البلدان ومراجعها الرئيسة في مكة أو الرياض بعيدة جداً ، وعامل البعد يشكل عقبة كبيرة على حياة الناس ، وعلى سير الخدمات والتنمية في هذه البلدان الثلاث .

بإمارة مستقلة ، مثلها مثل إمارة الرياض ، أو إمارة مكة المكرمة ، أو غيرهما ، فهي جديرة بذلك ، ولديها المؤهلات الرئيسة التي تمكنها من الاستقلال بإمارة عامة ورئيسة .

٢■ من المؤكد أن سكان هذه البلدات الثلاث يعانون في إنجاز مصالحهم الإدارية والوظيفية ، وذلك لتبعية جميع المؤسسات الإدارية في هذه النواحي إلى الإدارات الأم في كل من مكة والرياض ، وإن أصبحت هذه المنطقة إمارة رئيسة ، فسوف تخفف الأعباء والصعوبات على المواطنين في كل الإدارات الحكومية الأخرى، لأن كل إدارة فرعية في هذه النواحي سوف تتحول إلى إدارة رئيسة تقوم على خدمة الأرض والسكان ، ونأمل أن يتحقق المطلب السابق ذكره ، في البند رقم (١) وذلك مما سوف يدفع عجلة التطور والتنمية إلى الأمام [١].

٣■ إن التعليم العالي من الركائز المهمة التي تطور المجتمعات وتبنيها ، وبلاد رنية ، وتربة والخرمة بحاجة إلى مؤسسات تعليم عالية ، نعم إن هناك كليات محدودة ، تستمد قراراتها من جامعات رئيسة في الحجاز مثل: جامعتي أم القرى ، والطائف ، ولكن رنية وتربة وما حولهما في حاجة ماسة إلى جامعة تخدم أبناء وبنات هذه النواحي ، بل إن إنشاء جامعة يعد ضرورة ملحة ، تخدم طلاب هذه الأوطان التي تقطع مئات الكيلومترات من أجل الدراسة في جامعات أخرى [٢].

٤■ في هذه الحواضر الثلاث (رنية ، وتربة ، والخرمة) بعض الأعيان ، والوجهاء ، والأغنياء، وعليهم جميعاً مسؤوليات كبيرة تجاه بلادهم ، فيقومون على خدمتها ثقافياً ومعرفياً وتنموياً ،

---

(١) هذا المطلب ، في اعتقادي مبتغى كل فرد من أهل الخرمة ، ورنية ، وتربة ، وذلك لن يكون صعباً على الدولة التي تعمل جاهدة في تحقيق الاستقرار والرفاهية لأبناء المملكة العربية السعودية ، وهذه سياسة متبعة عند حكام هذه الدولة المسلمة الراشدة.

(٢) من خلال عملي في الجامعة وزياراتي المتكررة لجامعات الرياض والحجاز ، فإنني رأيت وسمعت وقابلت عشرات الطلاب من تربة ورنية وهم يدرسون في هذه الجامعات الكبيرة ، ونقول إن بلادهم بحاجة إلى جامعة تخدم سكان تلك البلاد تعليمياً وتنموياً .

ولو قام كل واحد منهم بما يجب عليه تجاه مجتمعه ، فسوف تكون النتيجة إيجابية (بإذن الله تعالى) .

٥- هذه البلدان المعروفة عند بعض الباحثين باسم (أرض الوديان) بحاجة إلى مراكز بحوث متخصصة ، ومكتبات مركزية ، بل تستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات الأكاديمية التي تخدم سكانها وأرضها، وفي النقاط الآتية أذكر عدداً من العناوين المهمة والجديرة بالبحث والتدوين ، وهي:

أ - تاريخ وحضارة الخرمة ورنية وتربة قبيل الإسلام ، وهذه الدراسة يجب أن تشمل الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية والفكرية . ودراسة الآثار والنقوش، وتلك الحقبة جديرة بالبحث والدراسة .

ب - التاريخ الحضاري والسياسي لهذه البلدان الثلاثة خلال العشرة قرون الإسلامية الأولى

(ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ١٦م)، وهذه الفترة الزمنية الطويلة تستحق مئات الدراسات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية التعليمية ، والاجتماعية . كما أن الأعلام الذين عاشوا في تلك البلاد يستحقون الدراسة وتدوين سيرهم.

ج - التاريخ الحديث والمعاصر أي من القرن (ق١١ـ١٥هـ/ق١٧ـ٢١م) فترة زمنية طويلة، وبحاجة إلى مئات الكتب والبحوث والرسائل العلمية الأكاديمية ، وفي شتى المجالات السياسية والإدارية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتعليمية . وهذه الفترة ربما تكون أفضل من القرون السابقة ، وذلك لقربها من بعض الأحداث التي وقعت في هذه الأوطان أو القريبة منها ، ثم لتوفر بعض المصادر والوثائق الخاصة بهذه الفترة الحديثة والمعاصرة[1].

---

(١) نعم الكتابة في العصر الحديث والمعاصر أسهل من الأزمنة السابقة ، لوجود المصادر والمراجع إلى حد ما ، وذلك مقارنة بفترات التاريخ القديم أو الإسلامي المبكر والوسيط والحديث ، وليس ذلك في رنية وتربة والخرمة فقط ، وإنما في عموم أنحاء الجزيرة العربية وبخاصة البلدان البعيدة عن مراكز الحضارة الرئيسة .

- التطور الحضاري المعاصر في رنية ، والخرمة ، وتربة جديرة بالبحث والدراسة ، والملحوظ أن عموم أجزاء المملكة العربية السعودية تعيش عصر تنمية منذ أربعين عاماً ، وهذا النمو الحضاري يستحق التوثيق والتدوين، ومن ثم فهذه البلاد كغيرها ، تحتاج إلى من يدرس تاريخها المعاصر ويوثقه[١].

(١) نأمل أن نرى من أبناء الخرمة ورنية وتربة ، وبخاصة المثقفين وأرباب التعليم منهم من يجتهد في خدمة بلاده كل في مجاله وتخصصه العلمي ، وإن فعلوا ذلك فسوف يخرجون لنا أعمالاً علمية وثقافية تصب في خدمة هذه البلاد .